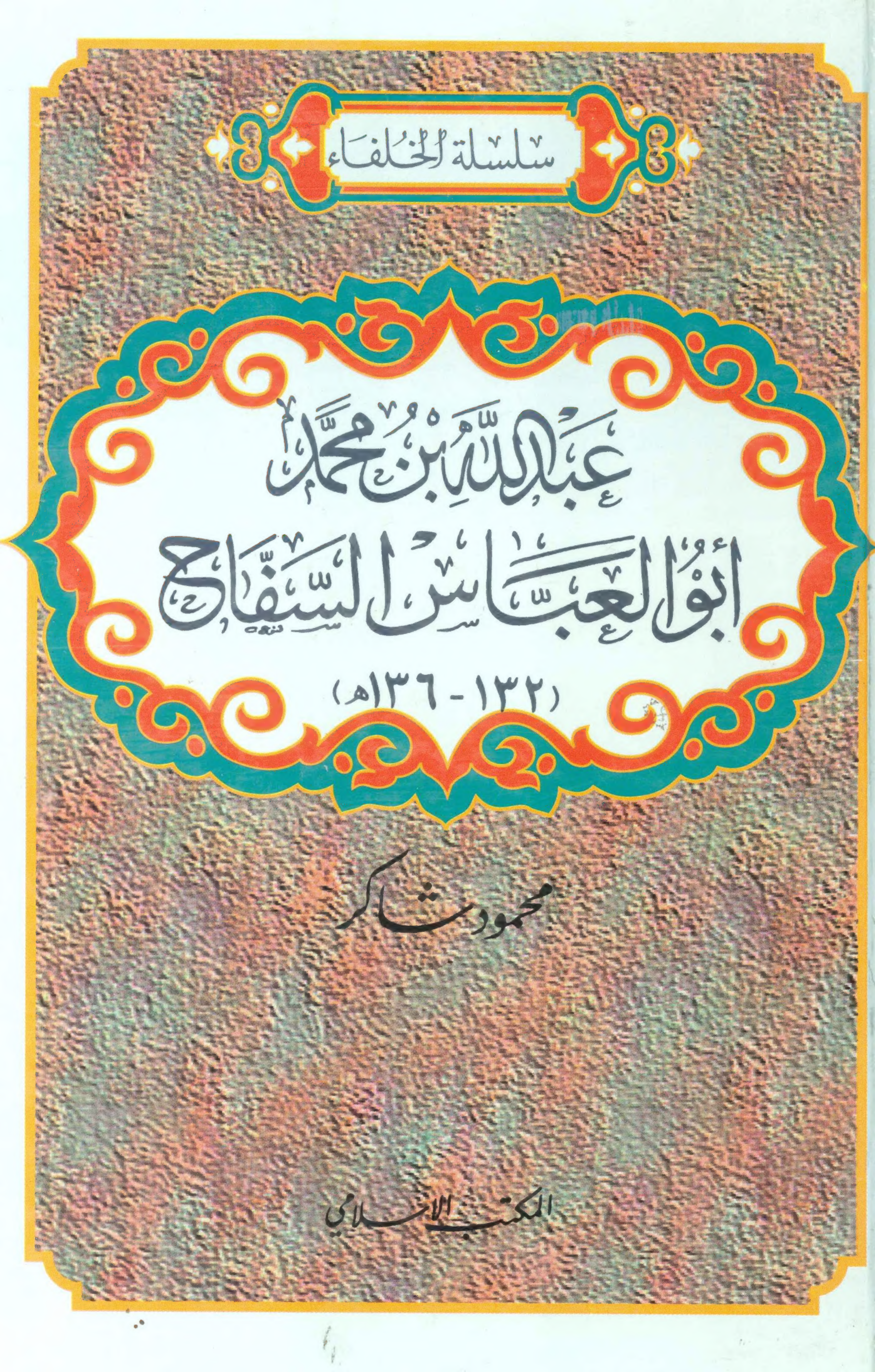
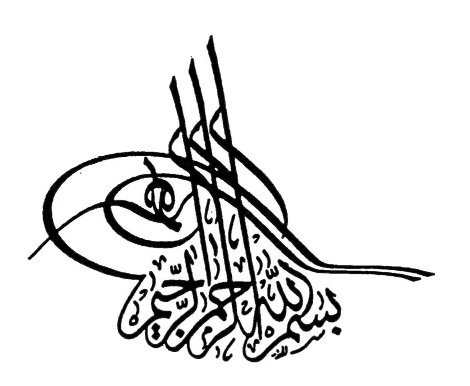

سلسلة الخلفاء
عبد الله بن محمد
أبو العباس السفاح
(١٣٢ - ١٣٦هـ)
محمود شاكر
المكتب الإسلامي


عبد الله بن محمد
أبو العباس السفاح


بسم الله الرحمن الرحيم

سلسلة الخلفاء



محمود شاكر

المكتب الإسلامي

الطبعة الأولى

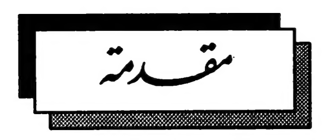
١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م

المكتب الإسلامي

بيروت: ص.ب: ١١/٣٧٧١ - هاتف: ٤٥٦٢٨٠(٠٥)

دمشق: ص.ب: ١٣٠٧٩ - هاتف: ١١١٦٣٧

عمّان: ص.ب: ١٨٢٠٦٥ - هاتف: ٤٦٥٦٦٠٥



مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد بن عبد الله خاتم الأنبياء والرسل وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: فإن العرب بعد أن دانوا بالإسلام أعزّهم الله، فخرجوا من جزيرتهم مجاهدين يحملون المُهمّة التي أُنيطت بهم، وأعطوا الميثاق بتبليغها للناس كافةً، وقد أوفوا بما عاهدوا عليه، فاستطاعوا أن يهزموا كُبريتي دول العالم يومذاك، وهما دولتا فارس والروم، وكانت أولاهما تدين بالمجوسية، وثانيتهما تدين بعقيدةٍ مزيجٍ من النصرانية والوثنية، وإن كانت تُسمّى بالنصرانية، أو هكذا اصطلح أهلها على تسميتها.

وإذا كانت الدولة الرومانية قد هُزمت أمام المسلمين وتراجعت فتخلّت عن مصر، والشام، وأجزاء من بلاد الروم فإن الدولة الفارسية قد قُضي عليها، وزالت نهائياً، بل إن أهلها الذين كانوا يدينون بالمجوسية قد تخلّوا عن عقيدتهم السابقة، وطرحوها

من حسابهم بل عدّوها جاهليةً وباطلةً لا يصحّ لذي عقلٍ أن يقبلها ويعتقد بها.

وإذا كان قد أقبل سكان الدولة الفارسية جميعاً على الإسلام إلا أنهم لم يكونوا جميعاً بمستوىً واحدٍ من الإيمان، بل لم يكونوا كلهم صادقين فيما أقبلوا عليه، ودانوا به، وأخذوا يقيمون شعائره، ويُطبّقون أحكامه. وإذا كانت الأكثرية صادقةً فيما آمنت به إلا أن فئةً أخرى وإن كانت قليلةً إلا أنها صاحبة إمكاناتٍ ونفوذٍ، واستمرّ نفوذها لما لها من إمكاناتٍ سابقةٍ، وصلاتٍ من الماضي، ومركزٍ من العهد الذي قُضي عليه ولأنها أظهرت قبول الإسلام الذي دان به الشعب كاملاً وما أظهرت ذلك إلا لتبقى على صلةٍ بالرعية، وخوفاً على نفسها وعلى مصالحها. هذه الفئة كانت ذات عصبيةٍ جاهليةٍ تريد الرجوع بالمجتمع إلى العهد الماضي لتعود إلى مكانتها، وترجع إليها سيطرتها، وكان الحقد يكاد يأكل كبدها على الذين أزالوا عنها ما كانت عليه وما كانت تتمتع به، وأولئك هم المسلمون.

عرفت تلك الفئة الحاقدة شدّة محبّة المسلمين لصحابة رسول الله ﷺ ولآل بيته الكرام، فأرادت استغلال هذه المحبّة القوية وتلك العاطفة الجيّاشة

فتكسبها نحوها، وتظهر هي أيضاً هذه العاطفة بل وتُغالي بها لتوجّه أصحابها نحو الأهداف التي تريد، ولعل أهم الأهداف هو ضرب الإسلام بإيقاع الخلاف بين أهله لإضعافهم، وبدسّ شوائب في الأصول ليحدث الانحراف، وتضعف القوة الذاتية.

إذن كان على هذه الفئة الحاقدة اختيار صحابيٍ من آل البيت له مكانته البارزة، وإظهار المحبة الشديدة له، والتعلّق به، والمغالاة في ذلك حتى يكسب الحاقدون عواطف المسلمين نحوهم ويمكن توجيههم، والتلاعب بعواطفهم، والسير بهم نحو أهدافهم.

وقع اختيار الحاقدين على عليّ بن أبي طالب، رضي الله عنه، لا حبّاً له ولا تقديراً ولكن خبثاً واستغلالاً لمكانته لقرابته من رسول الله ﷺ ولسابقته في الإسلام، ولشجاعته وبطولته ولمصاهرته لرسول الله ﷺ، كما أنه ليس لرسول الله ﷺ من ولد إلا عن طريق ابنته فاطمة، رضي الله عنها، زوج عليّ، رضي الله عنه.

وهذه صفات تجعل عليّاً، رضي الله عنه، محطّ أنظار المسلمين، وموقع محبّتهم، وموضع عاطفتهم، ككل كبار الصحابة، فهو من السابقين للإسلام، وبطل مغوار، وشجاع مقدام، ورجل علمٍ، وصاحب فضلٍ ويضاف إلى ذلك القرابة والمصاهرة لرسول الله ﷺ.

أظهر المتلوّنون الحاقدون عاطفةً زائدةً نحو عليٍّ، رضي الله عنه، وأبدوا محبةً شديدةً له، فلم يُنكر أحد بل عُدّ ذلك أمراً طبيعياً، فهو أهل، رضي الله عنه، لكل محبّةٍ، ثم أخذ التفضيل على الآخرين يظهر بل والحطّ من شأن إخوانه بعض الصحابة، فلفت هذا الأمر النظر، وكان الهدف من ذلك دبّ الخلاف والتفرقة بين الصحابة وهذا يعني بين المسلمين، وفعلاً أخذت تظهر بعض خطوط الانفصام في المجتمع الذي كان متماسكاً متراصاً.

ثم ظهرت فكرة الخلافة، وأن عليّاً، رضي الله عنه، يجب أن يكون هو الخليفة بعد رسول الله ﷺ بصفته الوريث الشرعي له، ويجب أن تُحصر الخلافة في أبنائه بالوراثة وهم يعلمون، وكل مسلمٍ يعلم أن الخلافة ليست وراثيةً بل هي شورى بين المسلمين. وأن رسول الله ﷺ لم يورث أمراً كهذا، ولم يتكلم بهذا. فكان ردّ الآخرين طبيعياً بل معروفاً ولا يحتاج إلى ردّ، وأدرك المسلمون انحراف هذه الفئة المتلوّنة، ولم يتركها المسلمون خوفاً من مغالاتها في الانحراف، لذا عمل كبار الصحابة، رضوان الله عليهم، على الأخذ بيدها للسير بها إلى جادة الصواب.

لكن هذه الفئة تمسّكت برأيها، وأخذت تضع الأحاديث بما يُؤيّد ما تصبو إليه، وتشيع ذلك، حتى انتشر هذا الرأي، وقبله البعيدون عن العلم، وبعض العامة، وغدا عند أتباع المتلوّنين الحاقدين كأنه حقيقة مع الزمن نتيجة ترديد ذلك وتكراره، وكان هذا أول الزيغ عند تلك الفئة.

ثم تطوّر الأمر أكثر من ذلك، إذ رأت هذه الفئة أنه بإمكانها دسّ تعاليم فاسدة بين المسلمين، وأن في ذلك فائدةً لها إذ يزداد الزيغ، وتتفاقم البلبلة، ويقع الخلاف بين المسلمين، وهذا أحد مرامي تلك الجماعة الحاقدة، فرفعوا عليّاً، رضي الله عنه، وأبناءه فوق مستوى الآخرين من البشر كفتنةٍ في العقيدة، وفتنةٍ في المجتمع.

كَثُر أتباع المتلونين من العامة، وأصحاب العاطفة، والبعيدين عن العلم، فقاموا يُوجّهون سهامهم على الخلفاء بصفتهم يُمثّلون الإسلام، وبصفتهم قادة المسلمين، فاختلقوا الافتراءات، وأشاعوا الشائعات، وأوجدوا الأكاذيب، ودسّوا ذلك كله فيما دوّنوه، وادّعى بعضهم روايته عن آخرين، فانتشر ذلك، ومما يؤسف له أنه دخل بعض الكتب، وأصبحت هذه الكتب مع الزمن مراجع تتناولها الأيدي وتتناقلها الألسن،

وظهرت فيما بعد هذه الآراء في القراطيس التي سُجّلت، وغدا فكر الكثيرين اليوم ممن يدّعي الثقافة يطفح بها.

وتعرّض الحاقدون المتلوّنون للخلفاء، ووقعت فتن، وحدثت خلافات، وتمت لقاءات في ساحات القتال، وضعف المجتمع وتفرّق، ووُجد ظلمة لردع الظالمين، وضعفت الدولة، ولكن لم ينجح الحاقدون في مسعاهم تماماً، وإن أحدثوا بلبلاتٍ، فتفرّقت الأمة وضعفت، حتى خفّ الجهاد، وفترت الدعوة.

وظهرت الدعوة العباسية، وأسرع المتلوّنون فانخرطوا في صفوفها، وحالفها التوفيق فأحرزت النصر، وسيطرت على الوضع، وما كادت تسير في طريق الفوز حتى أخذ المتلوّنون يوجّهون سهامهم نحوها بما أساءوا في تصرّفاتهم، وما ارتكبوه من جرائم، بل بدت مخالب قادتهم مما أجبر خلفاء بني العباس الأوائل إلى قصّ هذه المخالب التي ظهرت، فقُتل أبو سلمة الخلال، ثم تبعه مقتل أبي مسلم الخراساني.

وأخذ المتلوّنون يُوجّهون سهامهم نحو خلفاء بني العباس ما داموا قد أصبحوا هم الذين يُمثّلون الإسلام، فالهدف الأساسي والمرمى البعيد إنما الطعن بالإسلام وضربه في محاولةٍ للقضاء عليه، واستغلّ المتلوّنون

جناحاً آخر من آل البيت ذلك هو الفرع الطالبي، فقامت حركات منهم، وأُشيعت على خلفاء بني العباس شائعات، وافتريت أقاويل، كما فُعل ببني أمية من قبل.

والمتلونون ليسوا تلك الجموع كلها التي تظهر على الساحة، بل هم فئة تتولّى التوجيه والتخطيط فتوقع بعض العامة في شِراكها وحبائلها، وتستغلّ عواطف المسلمين نحو آل البيت، وتكسب بعض الناس بما تصوغه من زورٍ ومن كذبٍ، وبما تضع من رواياتٍ، فتتحرك معها على الساحة جموع تحت هذه التأثيرات.

فأرجو أن يُوفّقني الله في إعطاء صورةٍ صادقةٍ عن حياة أبي العباس عبد الله بن محمد بن علي الهاشمي أول خلفاء بني العباس، وأن يُجنّبني الزلل، وأن يُبعدني عن التأثّر بروايات المغرضين، وافتراءات المتلوّنين، وأكاذيب أصحاب الأهواء، وادّعاءات المدعين.

كما أرجو أن يكون عملي خالصاً لله، أبتغي تبيان الحق، والإفادة من التاريخ، وأخذ العِبَر.

وآخر دعوانا أنِ الحمد لله رب العالمين.

الرياض: غرّة شهر ربيع الثاني ١٤٢٠هـ.

محمود شاكر

الفصل الأول

أبو العباس قبل الخلافة

ولد عبد الله بن محمد بالحميمة سنة خمسٍ ومائة، وبها نشأ. وكان موضع اهتمام أهله، فأمه حرّة وهي ريطة بنت عبيد الله بن عبد الله بن عبد المدان الحارثية، على حين أن إخوته أبناء أمهات أولاد. وأخذ أبوه بالدعوة لبني هاشم بسريةٍ تامةٍ.

توفي والده سنة خمسٍ وعشرين ومائة، ولم يتجاوز السفاح العشرين من عمره، ويعدّ صغيراً بالنسبة إلى مهمة الدعوة، لذا فإن أباه قد أوصى لابنه إبراهيم، فهو أكبر من أخيه عبد الله السفاح بثلاثٍ وعشرين سنةً، فعمره ثلاث وأربعون سنةً، وهي سنّ مناسبة للدعوة، إذ بلغ الرجل أشدّه.

عمل إبراهيم بالدعوة ما يقرب من سبع سنواتٍ، ثم عُرف أمره، وانتشر خبره، فأرسل الخليفة مروان بن محمد من قبض عليه وحمله إليه.

وحين أُخذ إبراهيم بن محمد للمضي به إلى مروان، نعى إلى أهل بيته نفسه حين شيّعوه، وأمرهم بالمسير إلى الكوفة مع أخيه أبي العباس عبد الله، فكان قد بلغ السابعة والعشرين. ومن ناحيةٍ ثانيةٍ، فإن أمه حرّة وسيُواجه بذلك الناس، وإن أخاه عبد الله المنصور أكبر من عبد الله السفاح، غير أن أمه أم ولد بربرية تُدعى سلامة، إضافةً إلى بعض الصفات الخاصة، لذا كان الاختيار لأبي العباس، فالخلفاء لم يختاروا أبداً ممن تكون أمهاتهم من أمهات الأولاد حتى عام ١٢٧هـ، عندما تولّى يزيد بن الوليد الخلافة بعد انقلابٍ حسب مصطلح اليوم، وجاء بعده أخوه إبراهيم بن الوليد وأمه أم ولدٍ بربرية، ثم جاء بعد ذلك ابن عمه مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية وأمه أم ولدٍ كردية.

أمر إبراهيم بن محمد أهله بالمسير إلى الكوفة مع أخيه أبي العباس عبد الله بن محمد، وبالسمع له والطاعة، وأوصى إلى أبي العباس، وجعله الخليفة بعده، فشخص أبو العباس عند ذلك ومن معه من أهل بيته إلي الكوفة.

وقيل: بل لما وصل إبراهيم بن محمد إلى حرّان

وحبسه مروان علم أن لا نجاة له، أثبت وصيته وجعلها إلى أخيه أبي العباس عبد الله بن محمد، وأوصاه بالقيام بالدولة والجدّ والحركة، وأن لا يكون له بعده بالحميمة لبث ولا عرجة حتى يتوجّه إلى الكوفة، فإن هذا الأمر صائر إليه لا محالة، وأظهره على أمر الدعاة بخراسان والنقباء، ورسم له في ذلك رسماً أوصاه أن يعمل عليه ولا يتعدّاه، ودفع الوصية بجميع ذلك إلى سابق الخوارزمي مولاه، وأمره إن حدث به حَدَث من مروان في ليلٍ أو نهارٍ أن يجدّ السير إلى الحميمة حتى يدفع وصيته إلى أخيه أبي العباس(١).

فلما قضى إبراهيم نحبه أسرع سابق في السير حتى أتى الحميمة، فدفع الوصية إلى أبي العباس ونعاه إليه، فأمره أبو العباس بستر خبر الوصية، وأن ينعاه فقط، ثم أظهر أبو العباس أهل بيته على أمره، ودعا إلى مؤازرته ومكاتفته أخاه أبا جعفر عبد الله بن محمد،

---

(١) هذا القول بعيد، إذ أن إبراهيم بن محمد يخشى أن يفتش سابق الخوارزمي قبل انطلاقه، بل هو الأصل والطبيعي، فتؤخذ منه الوصية وفيها أسماء الدعاة بخراسان والنقباء، ويُعرف كل شيء فيؤخذ الدعاة والنقباء، ويقضي عليهم وعلى الذين يعترفون عنهم، وبذا يُقضى على الدعوة، وينتهي الأمر.

وعيسى بن موسى بن محمد ابن أخيه، وعبد الله بن عليّ عمّه. وتوجّه أبو العباس إلى الكوفة مسرعاً وهؤلاء معه في غيرهم ممن خفّ معه من أهل بيته. وكان ممن سار معه:

١ ـ أخوه أبو جعفر المنصور عبد الله بن محمد.

٢ ـ عمه صالح بن علي بن عبد الله بن عباس.

٣ ـ عمه عبد الله بن علي بن عبد الله بن عباس.

٤ ـ عمه إسماعيل بن علي بن عبد الله بن عباس.

٥ ـ عمه عبد الصمد بن علي بن عبد الله بن عباس.

٦ ـ عمه داود بن علي بن عبد الله بن عباس.

٧ ـ أخوه يحيى بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس.

٨ ـ ابن أخيه محمد بن إبراهيم بن محمد بن علي.

٩ ـ ابن أخيه عبد الوهاب بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن علي.

١٠ ـ ابن أخيه عيسى بن موسى بن محمد بن علي.

١١ ـ ابن عمه موسى بن داود بن علي.

١٢ ـ يحيى بن جعفر بن تمام بن عباس.

وكان من خرج من الحميمة متجهاً إلى الكوفة قد التقى في دومة الجندل مع داود بن عليّ وموسى بن داود ابنه، وهما منصرفان عن العراق إلى الحميمة، فسأله داود عن مسيره، فأخبره بسببه، وأعلمه بحركة أهل خراسان لهم مع أبي مسلم، وأنه يريد الوثوب بالكوفة، فقال له داود: يا أبا العباس تثب بالكوفة ومروان شيخ بني أمية وزعيمهم في أهل الشام والجزيرة مطلّ على العراق، وابن هبيرة شيخ العرب في جلّة العرب بالعراق، فقال له أبو العباس: يا عماه من أحب الحياة ذلّ، وتمثّل بقول الأعشى:

فما ميتة إن مُتُّها غير عاجزٍ

بعارٍ إذا ما غالت النفس غولها

فالتفت داود إلى ابنه موسى، وقال: أي بُنيّ، صدق ابن عمك، ارجع بنا معه نحيا أعزاء أو نمت كراماً، فعطفا ركابهما معه. فكان عيسى بن موسى يقول إذا ذكر خروجهم من الحميمة يريدون الكوفة:

إن نفراً أربعة عشر رجلاً خرجوا من دارهم وأهليهم يطلبون مطالبنا، لعظيمة همتهم، كبيرة أنفسهم، شديدة قلوبهم.

قدم أبو العباس الكوفة في شهر صفر سنة اثنتين وثلاثين ومائة فأنزلهم أبو سلمة الخلال[1] في دار الوليد بن سعد مولى بني هاشم في بني أَوْد حيٍّ من اليمن، وكتم أمرهم نحواً من أربعين ليلةً عن جميع القواد والأتباع، فكان إذا سئل عنهم قال: لم يفد أحد بعد، حتى لقي أبو حميد خادم أبي العباس، وهو سابق الخوارزمي الذي كان يخدم من قِبَل إبراهيم بن محمد، فسأله عن أصحابه، فأخبره أنهم بالكوفة، وأن أبا سلمة يأمرهم أن يختفوا، فجاء أبو حميد إلى القائد أبي الجهم، فأخبره خبرهم، فسرّح أبو الجهم أبا حميد مع

---

(١) أبو سلمة الخلال: حفص بن سليمان الخلال: لقب بالخلال لسكناه بدرب الخلالين بالكوفة، كان متمولًا، صيرفياً، أنفق أموالًا كثيرة في سبيل الدعوة العباسية وإقامة الدولة. وكان شجاعاً، وذا مفاكهةٍ وأدب، وخبرة بالأمور، كان يفد إلى الحميمة في أرض الشراة، فيحمل كتب إبراهيم بن محمد إلى الدعاة والنقباء في خراسان، وقد صحبه مرةً أبو مسلم الخراساني تابعاً له. وكان يسمر كل ليلةٍ عند السفاح وهو في الأنبار، والسفاح يأنس به لما في حديثه من إمتاع وأدب، ولما كان عليه من علم بالسياسة وتدبير الأمور، واستمر ذلك أربعة أشهر، ثم اغتاله أشخاص كمنوا له ليلًا، وهو خارج يريد منزله، وكان قد استوزره السفاح، فكان يقال له: وزير آل محمد.

سابق الخوارزمي حتى عرف منزلهم بالكوفة، ثم رجع وجاء معه إبراهيم بن سلمة (رجل كان معهم) فأخبر أبا الجهم عن منزلهم، ونزول الإمام في بني أَوْد، وأنه أرسل حين قدموا إلى أبي سِلمة يسأله مائة دينار، فلم يفعل، فمشى أبو الجهم، وأبو حميد، وإبراهيم بن سلمة إلى القائد موسى بن كعب[1]، وقصّوا عليه

---

(١) موسى بن كعب بن عيينة التميمي، أبو عيينة: والٍ من كبار القادة، أحد الرجال الذين رفعوا عماد الدولة العباسية. كان مع أبي مسلم في خراسان. وجعله محمد بن علي في جملة النقباء الاثني عشر في عهد بني أمية، فقام يبث الدعوة لبني العباس، وشعر به أسد بن عبد الله البجلي القسري والي خراسان، فقبض عليه وألجمه بلجام فتكسرت أسنانه. ثم انطلق فوجّهه أبو مسلم إلى (أبيورد) فدخلها، ثم شهد الوقائع الكثيرة.
وكان مع أبي العباس حين ظهوره بالكوفة، وهو أول من بايعه بالخلافة، وأخرجه إلى الناس.
ولما ولي المنصور ولّاه شرطته، وأضاف إليه ولاية الهند ومصر، فأرسل موسى نائبين عنه إلى ذينك القطرين. وكانت ولاية الشرطة للخلفاء تعدل القيادة للجيش اليوم.
وأغدق عليه العباسيون النعم، فكان يقول: كانت لنا أسنان وليس عندنا خبز، ولما جاء الخبز ذهبت الأسنان. ورحل إلى مصر في عام وفاته فأقام سبعة أشهرٍ وأياماً، وصُرف عن إمرتها، فعاد إلى بغداد ولم يلبث أن توفي، وهو على شُرَط المنصور وعلى الهند، وخليفته على الهند ابنه عيينة. وكانت وفاته سنة إحدى وأربعين ومائة في أيام المنصور.

القصة، وبعثوا إلى الإمام بمائتي دينار. ومضى أبو الجهم إلى أبي سلمة، فسأله عن الإمام، فقال: ليس هذا وقت خروجه، لأن واسطاً لم تفتح بعد، فرجع أبو الجهم إلى موسى بن كعب فأخبره، فأجمعوا على أن يلقوا الإمام، فمضى موسى بن كعب، وأبو الجهم، وعبد الحميد بن ربعي، وسلمة بن محمد، وإبراهيم بن سلمة، وعبد الله الطائي، وإسحاق بن إبراهيم، وشراحيل، وعبد الله بن بسام، وأبو حميد محمد بن إبراهيم، وسليمان بن الأسود، ومحمد بن الحصين إلى الإمام، فبلغ أبا سلمة، فسأل عنهم، فقيل: ركبوا إلى الكوفة في حاجةٍ لهم.

وأتى القوم أبا العباس، فدخلوا عليه، فقالوا: أيكم عبد الله بن محمد ابن الحارثية؟ فقالوا: هذا، فسلَّموا عليه بالخلافة، فرجع موسى بن كعب وأبو الجهم دون الآخرين، فتخلّفوا عند الإمام، فأرسل أبو سلمة إلى أبي الجهم: أين كنت؟ قال: ركبت إلى إمامي. فركب أبو سلمة إليهم، فأرسل أبو الجهم إلى أبي حميد أن أبا سلمة قد أتاكم، فلا يدخلن على الإمام إلا وحده، فلما انتهى إليهم أبو سلمة منعوه أن يدخل معه أحد، فدخل وحده، فسلّم على أبي العباس بالخلافة.

وقيل: خرج آل العباس هاربين إلى الكوفة، فنزلوا على أبي سلمة الخلال، فأواهم في سَرَب في داره، وكان أبو مسلم قد استولى على خراسان، وعيّن لهم يوماً يخرجون فيه، فخرجوا في جمعٍ كثيفٍ من الخيّالة والحمّارة والرَّجّالة، فنزل الخلال إلى السرداب، وصاح يا عبد الله مدّ يدك، فتبارى إليه الأخوان[1]. فقال: أيكم الذي معه العلامة؟. قال المنصور: فعلمت أني أُخّرت، لأني لم يكن معي علامة، فتلا أخي العلامة وهي: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً...﴾[2]. فبايعه أبو سلمة، وخرجوا جميعاً إلى جامع الكوفة[3].

وقيل: إن أبا سلمة الخلال لما بلغه موت إبراهيم بن محمد، شعر أن من سيخلفه لن يعرف له مكانته، فلو قدّم الأمر للطالبيين، وقد جهز وتمّ، ولم يبق إلا استلامه، لأنزلوه منزلة مرموقةً، ولما أقدموا على عملٍ إلا بعد مشاورته، ولما تصرّفوا إلا برأيه، لذا كتم أمر آل العباس نحواً من أربعين ليلةً، وربما

---

(١) المنصور والسفاح كلاهما اسمه عبد الله.

(٢) سورة القصص: الآية ٥.

(٣) سير أعلام النبلاء.

رأى أن الطالبيين أكثر رسوخاً في العمل لبني هاشم، وأكثر تمكُّناً من نفوس الرعية، لذا بدأ بالاتصال معهم قبل أن يظهر أمر آل العباس.

بعث أبو سلمة رسولاً له هو محمد بن عبد الرحمن بن أسلم، وكتب معه كتابين على نسخةٍ واحدةٍ إلى أبي عبد الله جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب(١)، وإلى أبي محمد

---

(١) جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب: ولد بالمدينة سنة ثمانين، وهو من أجلّاء التابعين، وله منزلة رفيعة بالعلم، أخذ عنه جماعة منهم: الإمام أبو حنيفة والإمام مالك. ثقة، وله أخبار مع خلفاء بني العباس، وكان جريئاً عليهم صدّاعاً بالحق، وتوفي بالمدينة سنة ثمانٍ وأربعين ومائة عن عمرٍ يناهز الثامنة والستين.

وأمه أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق، وأمها أسماء بنت عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق، ولهذا كان يقول: ولدني أبو بكر الصديق مرتين. وكان يمقت الرافضة لجهلهم حيث هوى بهم الهوى. ويقول أبو حنيفة: ما رأيت أفقه من جعفر. ويقول جعفر: من زعم أني إمام معصوم مفترض الطاعة، فأنا منه بريء، ومن زعم أني أبرأ من أبي بكر وعمر، فأنا منه بريء. وسئل عن أبي بكر وعمر، فقال: تسألني عن رجلين قد أكلا من ثمار الجنة. ويقول: برئ الله ممن تبرأ من أبي بكر وعمر. (سير أعلام النبلاء).

عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب[1]، يدعو كل واحدٍ منهما إلى الشخوص إليه ليصرف الدعوة إليه، ويأخذ بيعة أهل خراسان له، وقال للرسول: العَجَل العَجَل، ولا تكونن كوافدِ داعٍ، فقدم محمد بن عبد الرحمن المدينة على أبي عبد الله جعفر بن محمد، فلقيه ليلاً، فلما وصل إليه أعلمه أنه رسول أبي سلمة، ودفع إليه الكتاب، فقال له أبو عبد الله: وما أنا وأبو سلمة؟ أبو سلمة شيعة لغيري، قال له الرسول: إني رسول، فتقرأ كتابه وتُجيبه بما رأيت، فدعا أبو عبد الله بسراجٍ ثم أخذ كتاب أبي سلمة فوضعه على السراج حتى احترق، وقال للرسول: عرّف صاحبك بما رأيت، ثم أنشأ يقول مُتمثّلاً بقول الكميت بن زيد.

أيا موقداً ناراً لغيرك ضوؤها
ويا حاطباً في غير حبلك تحطب

---

(١) عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب: ولد بالمدينة سنة سبعين، يكنى أبا محمد، تابعي، كان ذا هيبةٍ، ولسانٍ، وشرفٍ، وكانت له منزلة عند عمر بن عبد العزيز، قدم على السفاح في الأنبار مع جماعةٍ من الطالبيين فأعطاه ألف ألف درهم، وعاد إلى المدينة، ثم حبسه المنصور عدة سنواتٍ من أجل ابنيه محمد وإبراهيم، ثم نقله إلى الكوفة فمات سجيناً فيها سنة خمسٍ وأربعين ومائة.

فخرج الرسول من عنده، فأتى عبد الله بن الحسن فدفع إليه الكتاب فقبّله، وقرأه، وابتهج به، فلما كان من غد ذلك اليوم الذي وصل إليه فيه الكتاب، ركب عبد الله حماراً حتى أتى منزل أبي عبد الله جعفر الصادق بن محمد، فلما رآه أبو عبد الله أكبر مجيئه، وكان عبد الله أسنّ من أبي عبد الله، فقال له: يا أبا محمد أَمْرٌ مَا أتى بك؟ قال: نعم، هو أجلّ من أن يوصف، فقال: وما هو يا أبا محمد؟ قال: كتاب أبي سلمة يدعوني إلى ما قِبله، وقد قدمت عليه شيعتنا من أهل خراسان. فقال له أبو عبد الله: يا أبا محمد، ومتى كان أهل خراسان شيعةً لك؟ أأنت بعثت أبا مسلم إلى خراسان؟ أأنت أمرته بلبس السواد؟ وهؤلاء الذين قدموا العراق، أأنت كنت سبب قدومهم أو وجّهت فيهم، وهل تعرف منهم أحداً؟ فنازعه عبد الله بن الحسن الكلام إلى أن قال: إنما يريد ابني محمداً لأنه مهديّ هذه الأمة، فقال له أبو عبد الله جعفر: والله ما هو بمهدي هذه الأمة، ولئن شهر سيفه ليُقتلنّ، فنازعه عبد الله القول حتى قال له: والله لا يمنعك من ذلك إلا الحسد، فقال له أبو عبد الله: والله ما هذا إلا نصح مني لك، ولقد كتب لي أبو سلمة بمثل ما كتب به إليك، فلم يجد رسوله عندي ما وجد عندك، ولقد

أحرقت كتابه قبل أن أقرأه، فانصرف عبد الله من عند جعفر مغضباً. ولم ينصرف رسول أبي سلمة إليه إلى أن بويع للسفاح بالخلافة[1].

وبعد أن بويع لأبي العباس بالخلافة في المنزل الذي كان فيه يوم الجمعة لاثنتي عشرة ليلةً خلت من شهر ربيع الثاني خرج على بِرْذَون أبلق حتى دخل قصر الإمارة بالكوفة، ثم دخل المسجد من دار الإمارة، فصعد المنبر وقام في أعلاه، وصعد داود بن علي[2]

---

(١) مروج الذهب ـ المسعودي، ومؤلفه صاحب هوى غير ثقةٍ، ويظهر تحيّزه لأبناء الحسين ضدّ أبناء الحسن حسب رأي الفئة التي ينتمي إليها.
هذه البيعة ليست شرعية ما دام هناك خليفة للمسلمين قد بويع بصورةٍ شرعيةٍ، وقائم بالأمر، ولا يصحّ وجود خليفتين في ديار الإسلام في وقتٍ واحدٍ. وبقيت هذه الخلافة غير شرعيةٍ حتى قُتل مروان بن محمد الخليفة السابق، وبعدها أصبحت خلافة أبي العباس شرعيةً بالغلبة. وقبلها كان من الواجب قتاله.

(٢) داود بن علي بن عبد الله بن عباس، أبو سليمان: عم أبي العباس السفاح وأبي جعفر المنصور.
روى عن أبيه، وروى عنه: الأوزاعي، والثوري، وشريك، وسعيد بن عبد العزيز، وقيس بن الربيع.
كان داود بن علي ذا بأسٍ، وسطوةٍ، وهيبةٍ، وجبروتٍ، وبلاغةٍ.
مات سنة ثلاث وثلاثين ومائة بعد أن أقام الموسم، وعاش اثنتين وأربعين سنة.

فقام دونه فتكلم أبو العباس، فقال: الحمد لله الذي اصطفى الإسلام لنفسه تكرمةً، وشرّفه وعظّمه، واختاره لنا، وأيّده بنا، وجعلنا أهله، وكهفه، وحصنه، والقُوّام عليه، والذّابّين عنه، والناصرين له، وألزمنا كلمة التقوى، وجعلنا أحق بها وأهلها، وخصّنا برحِم رسول الله ﷺ وقرابته، وأنشأنا من آبائه، وأنبتنا من شجرته، واشتقنا من نبعته، جعله من أنفسنا عزيزاً عليه ما عنتنا، حريصاً علينا بالمؤمنين رؤوفاً رحيماً، ووضعنا من الإسلام وأهله بالموضع الرفيع، وأنزل بذلك على أهل الإسلام كتاباً يتلى عليهم، فقال عزّ من قائل فيما أنزل من محكم القرآن: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[1]. وقال: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾[2]. وقال: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾[3]. وقال: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ﴾[4]. وقال: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ

---

(١) سورة الأحزاب: الآية ٣٣.

(٢) سورة الشورى: الآية ٢٣.

(٣) سورة الشعراء: الآية ٢١٤.

(٤) سورة الحشر: الآية ٧.

﴿وَلِذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ﴾[1].

فأعلمهم جلّ ثناؤه فضلنا، وأوجب عليهم حقنا ومودتنا، وأجزل من الفيء والغنيمة نصيبنا تكرمةً لنا، وفضلاً علينا، والله ذو الفضل العظيم.

وزعمت السبئية[2] الضلّال، أن غيرنا أحق

---

(١) سورة الأنفال: الآية ٤١.

(٢) السبئية: نسبةً إلى عبد الله بن سبأ: وأصله من اليمن، رحل إلى الحجاز، فالبصرة، فالكوفة، وهمه أن يلفت المسلمين عن طاعة الأئمة، فتكلم عن أمير المؤمنين عثمان بن عفان، رضي الله عنه، وافترى، وكان سبب الفتنة، ودخل دمشق في زمن عثمان بن عفان، رضي الله عنه، فأخرجه أهلها، فانصرف إلى مصر، وجهر ببدعته، وكان يقول برجعة رسول الله ﷺ، فيقول: العجب ممن يزعم أن عيسى يرجع ويكذب برجوع محمد.

وتقول السبئية بألوهية عليّ، فلما بويع علي قام إليه ابن سبأ فقال له: أنت خلقت الأرض، وبسطت الرزق. وتزعم السبئية أنهم لا يموتون وإنما موتهم طيران نفوسهم في الغلس، وأن عليًّا حيّ في السحاب. وإذا سمعوا صوت الرعد قالوا: غضب علي. ويقولون بالتناسخ والرجعة.

وقال ابن حجر العسقلاني في لسان الميزان: عبد الله بن سبأ من غلاة الزنادقة ضالّ مضلّ، وأحسب أن عليًّا حرقه بالنار. وقال الجوزجاني: زعم أن القرآن جزء من تسعة أجزاء، وعلمه عند علي، فنفاه عليّ بعدما همّ به.

بالرياسة والسياسة والخلافة منا فشاهت وجوههم، بِمَ ولِمَ أيها الناس؟، وبنا هدى الله الناس بعد ضلالتهم، وبصّرهم بعد جهالتهم، وأنقذهم بعد هَلَكتهم، وأظهر بنا الحق، وأدحض بنا الباطل، وأصلح بنا منهم ما كان فاسداً، ورفع بنا الخسيسة، وأتم بنا النقيصة، وجمع الفُرقة، حتى عاد الناس بعد العداوة أهل تعاطفٍ وبرٍّ ومواساةٍ في دينهم ودنياهم، وإخواناً على سررٍ متقابلين في آخرتهم، فتح الله ذلك مِنّةً ومِنحة لمحمد ﷺ، فلما قبضه الله إليه قام بذلك الأمر من بعده أصحابه، وأمرهم شورى بينهم، فحووا مواريث الأمم، فعدّلوا فيها ووضعوها مواضعها، وأعطوها أهلها، وخرجوا خماصاً منها، ثم وثب بنو حرب ومروان، فابتزّوها وتداولوها بينهم، فجاروا فيها، واستأثروا بها، وظلموا أهلها، فأملى الله لهم حيناً حتى آسفوه، فلما آسفوه انتقم منهم بأيدينا، وردّ علينا حقنا، وتدارك بنا أمتنا، وولي نصرنا والقيام بأمرنا، ليمُنّ بنا على الذين استُضعِفوا في الأرض، وختم بنا كما افتتح بنا. وإني لأرجو ألا يأتيكم الجور من حيث أتاكم الخير، ولا الفساد من حيث جاءكم الصلاح، وما توفيقنا أهل البيت إلا بالله.

يا أهل الكوفة أنتم محلّ محبتنا ومنزل مودتنا،

أنتم الذين لم تتغيّروا عن ذلك، ولم يُثْنِكم عن ذلك تحامل أهل الجور عليكم، حتى أدركتم زماننا، وأتاكم الله بدولتنا، فأنتم أسعد الناس بنا، وأكرمهم علينا، وقد زدتكم في أُعطياتكم مائة درهمٍ، فاستعدّوا، فأنا السفّاح المبيح، والثائر المبير.

وكان موعوكاً فاشتدّ به الوعك، فجلس على المنبر، وصعد داود بن علي فقام دونه على مراقي المنبر، فقال:

الحمد لله شكراً شكراً، الذي أهلك عدوّنا، وأصار إلينا ميراثنا من نبينا محمد ﷺ[1]. أيها الناس، الآن أقشعت حنادس الدنيا، وانكشف غطاؤها، وأشرقت أرضها وسماؤها، وطلعت الشمس من مطلعها، وبزغ القمر من مبزغه، وأخذ القوس باريها، وعاد السهم إلى منزعه، ورجع الحق إلى نصابه، في أهل بيت نبيّكم، أهل الرأفة والرحمة بكم والعطف عليكم.

أيها الناس، إنا والله ما خرجنا في طلب هذا

---

(١) النبوة، والخلافة، والإمامة لا تورث، فليس لرسول الله ﷺ وارث في الخلافة.

الأمر لنكثر لجيناً ولا عقياناً، ولا نحفر نهراً، ولا نبني قصراً، وإنما أخرجنا الأنفة من ابتزازهم حقنا، والغضب لبني عمنا، وما كرهنا من أموركم، ويَهَظَنا من شؤونكم، ولقد كانت أموركم تُرمِضُنا ونحن على فرشنا، ويشتدّ علينا سوء سيرة بني أمية فيكم، وخُرْقكم بكم، واستذلالهم لكم، واستئثارهم بفيئكم وصدقاتكم ومغانمكم عليكم. لكم ذِمّة الله تبارك وتعالى، وذِمّة رسوله ﷺ وآله، وذِمّة العباس، رحمه الله، أن نحكم فيكم بما أنزل الله، ونعمل فيكم بكتاب الله، ونسير في العامة فيكم والخاصة بسيرة رسول الله ﷺ. تباً تباً لبني حرب بن أمية وبني مروان، آثروا في مدتهم وعصرهم العاجلة على الآجلة، والدار الفانية على الدار الباقية، فركبوا الآثام، وظلموا الأنام، وانتهكوا المحارم، وغشوا الجرائم، وجاروا في سيرتهم في العباد وسنتهم في البلاد التي بها استلذّوا تسربُل الأوزار، وتجلبب الآصار، ومرحوا في أعنّة المعاصي، جهلاً باستدراج الله، وأمناً لمكر الله، فأتاهم بأس الله بياتاً وهم نائمون، فأصبحوا أحاديث، ومُزّقوا كل مُمزّقٍ، فبُعداً للقوم الظالمين، وأدالنا الله من مروان، وقد غرّه بالله الغرور، أرسل لعدوّ الله في عنانه حتى عثُر جواده في فضل خطامه، فظنّ عدوّ الله أن لن نقدر عليه،

فنادى حزبه، وجمع مكايده، ورمى بكتائبه، فوجد أمامه ووراءه وعن يمينه وشماله، من مكر الله وبأسه ونقمته ما أمات باطله، ومحق ضلاله، وجعل دائرة السوء به، وأحيا شرفنا وعزّنا، وردّ إلينا حقنا وآوانا.

أيها الناس؛ إن أمير المؤمنين نصره الله نصراً عزيزاً، إنما عاد إلى المنبر بعد الصلاة، أنه كره أن يخلط بكلام الجمعة غيره، وإنما عن استتمام الكلام شدة الوعك فادعوا لأمير المؤمنين بالعافية، فقد أبدلكم الله بمروان عدوّ الرحمن وخليفة الشيطان المتبع للسفلة الذين أفسدوا في الأرض بعد صلاحها بإبدال الدين وانتهاك حريم المسلمين، الشاب المتكهّل المتمهّل، المقتدي بسلفه الأبرار الأخيار الذين أصلحوا الأرض بعد فسادها بمعالم الهدى ومناهج التقوى.

فعجّ الناس بالدعاء له. ثم قال:

يا أهل الكوفة، إنا والله ما زلنا مظلومين مقهورين على حقنا حتى أتاح الله لنا شيعتنا أهل خراسان، فأحيا بهم حقنا، وأفلج بهم حجتنا، وأظهر بهم دولتنا، وأراكم الله ما كنتم تنتظرون، وإليه تتشوّقون، فأظهر فيكم الخليفة من هاشمٍ، وبيّض به وجوهكم، وأدالكم على أهل الشام، ونقل إليكم السلطان، وعزّ الإسلام،

ومنّ عليكم بإمام منحه العدالة، وأعطاه حسن الإيالة، فخذوا ما آتاكم الله بشكر، والزموا طاعتنا، ولا تُخدعوا عن أنفسكم فإن الأمر أمركم، وإن لكل أهل بيتٍ مصراً، وإنكم مصرنا. ألا وإنه ما صعد منبركم هذا خليفة بعد رسول الله[١] ﷺ إلا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب[٢]، وأمير المؤمنين عبد الله بن محمد ـ وأشار بيده إلى أبي العباس ـ فاعلموا أن هذا الأمر فينا ليس بخارجٍ منا حتى نُسلّمه إلى عيسى ابن مريم ﷺ، والحمد لله رب العالمين على ما أبلانا وأولانا.

ثم نزل أبو العباس وداود بن علي أمامه، حتى دخل القصر، وأجلس أبا جعفر ليأخذ البيعة على الناس في المسجد فلم يزل يأخذها عليهم، حتى صلّى بهم العصر، ثم صلّى بهم المغرب، وجنّهم الليل فدخل[٣].

---

(١) بعد رسول الله ﷺ: أي الخلفاء الذين بعد رسول الله ﷺ، ولا يعني أن رسول الله ﷺ صعد على منبر الكوفة.

(٢) الخلفاء الراشدون لم يذهب أحد منهم إلى الكوفة سوى عليٍّ، رضي الله عنه.

(٣) تاريخ الطبري.

هذا كلام واثب بالغلبة يريد أن يثبت أنه على حقٍّ، وأن خصمه على باطل. وهو قول منتصر يريد أن يثأر لنفسه، وليس بكلامٍ شرعي، ولا علمي.

القيادة:

بويع لأبي العباس بيعةً محليةً يوم الجمعة لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيعٍ الثاني سنة اثنتين وثلاثين ومائة، غير أن هذه البيعة لا تُعدّ شرعيةً ما دام هناك خليفة يقوم بالأمر، ولا يصحّ قيام خليفتين في وقتٍ واحدٍ.

عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا بويع لخليفتين، فاقتلوا الآخر منهما»[1]. لذا فالبيعة الموضعية غير صحيحةٍ، وبقيت كذلك حتى قُتل مروان بن محمد يوم الأحد لثلاثٍ بقين من ذي الحجة سنة اثنتين وثلاثين ومائة. ولذا فإن الثمانية أشهر ونصف من ١٢ ربيع الثاني حتى ٢٧ ذي الحجة ليست من خلافة أبي العباس، بل هي من خلافة مروان بن محمد، ونعدّ أبا العباس في هذه المدة قائداً، حيث كان أميراً على المناطق التي سيطر عليها أبو مسلم الخراساني وأتباعه، وعلى المناطق التي تسيطر عليها جيوش أبي العباس تدريجياً من البلدان التي كانت تتبع مروان بن محمد من قبل.

خرج أبو العباس فعسكر بحمام أعين في عسكر

---

(١) رواه مسلم: ١٨٥٣.

أبي سلمة، ونزل معه في حجرته، بينهما ستر، وحاجب أبي العباس يومئذٍ عبد الله بن بسام. واستخلف على الكوفة وأرضها عمّه داود بن عليٍّ، وبعث عمه عبد الله بن عليٍّ إلى أبي عون عبد الملك بن يزيد الأزدي، وبعث ابن أخيه عيسى بن موسى إلى الحسن بن قحطبة[1]، وهو يومئذٍ بواسط محاصر يزيد بن عمر بن هبيرة، وبعث يحيى بن جعفر بن تمام بن عباس إلى حميد بن قحطبة بالمدائن، وبعث أبا اليقظان عثمان بن عروة بن محمد بن عمار بن ياسر إلى بسام بن إبراهيم بن بسام بالأهواز، وبعث سلمة بن عمرو بن عثمان إلى مالك بن طريف، وأقام أبو العباس في العسكر أشهراً ثم ارتحل فنزل المدينة الهاشمية. وتنكّر لأبي سلمة قبل تحوّله حتى عرف ذلك.

---

(١) الحسن بن قحطبة بن شبيب الطائي: أحد القادة الشجعان المقدمين في بداية العصر العباسي. استخلفه المنصور على أرمينية سنة ستٍّ وثلاثين ومائة، ثم استقدمه سنة سبع وثلاثين ومائة لمساعدة أبي مسلم الخراساني على قتال عبد الله بن علي، وسيّره سنة أربعين ومائة مع عبد الوهاب بن إبراهيم بن محمد في سبعين ألفاً إلى ملاطية فكان للحسن فيها أثر عظيم، وغزا الصائفة سنة اثنتين وستين ومائة، فأوغل في بلاد الروم، وسمته الروم (التنين). وتوفي في بغداد سنة إحدى وثمانين ومائة، وقد عاش أربعة وثمانين سنة.

موقعة الزاب:

كان قحطبة بن شبيب الطائي قد وجّه أبا عون عبد الملك بن يزيد الأزدي إلى شهرزُور من نهاوند، فقتل عثمان بن سفيان، وأقام بناحية الموصل، وبلغ الخليفة مروان بن محمد أن عثمان قد قُتل، فأقبل من حرّان حتى أتى رأس العين، ثم أتى الموصل فنزل على دجلة، وحفر خندقاً فسار إليه أبو عون فنزل الزاب، فوجّه أبو سلمة إلى أبي عون عيينة بن موسى والمنهال بن فتّان وإسحاق بن طلحة كل واحدٍ في ثلاثة آلافٍ. فلما ظهر أبو العباس بعث سلمة بن محمد في ألفين، وعبد الله الطائي في ألفٍ وخمسمائةٍ، وعبد الحميد بن رِبعيّ الطائي في ألفين، ووداس بن نَضْلة في خمسمائة إلى أبي عون. ثم قال: من يسير إلى مروان من أهل بيتي؟ فقال عبد الله بن عليٍّ: أنا، فقال: سر على بركة الله. لقد اتجهت الأنظار إلى منطقة الموصل، إذ على أرضها ستكون المعركة الحاسمة فقد عسكر فيها الخليفة نفسه، وحشد خصمه قوتهم فيها أيضاً، وكل يأمل دحر الطرف الآخر وحلّ المشكلة.

سار عبد الله بن عليٍّ، فقدم على أبي عون، فتحوّل له أبو عون عن سُرادقه وخلّاه وما فيه، وصيّر

عبد الله بن عليٍّ على شرطته حيّاش بن حبيب الطائي، وعلى حرسه نصير بن المحتفز، ووجّه أبو العباس موسى بن كعب في ثلاثين رجلاً على البريد إلى عبد الله بن عليٍّ. فلما كان لليلتين خلتا من جمادى الآخرة سنة ثنتين وثلاثين ومائة سأل عبد الله بن عليٍّ عن مخاضةٍ، فدُلّ عليها بالزاب، فأمر عيينة بن موسى فعبر في خمسة آلافٍ، فانتهى إلى عسكر مروان، فقاتلهم حتى أمسوا، ورفعت لهم النيران فتحاجزوا، ورجع عيينة فعبر المخاضة إلى عسكر عبد الله بن عليّ، فأصبح مروان فعقد الجسر، وسرّح ابنه عبد الله يحفر خندقاً أسفل من عسكر عبد الله بن عليّ، فبعث عبد الله بن عليّ المخارق بن غِفار في أربعة آلاف، فأقبل حتى نزل على خمسة أميالٍ من عسكر عبد الله بن عليّ، فسرّح عبد الله بن مروان إليه الوليد بن معاوية بن مروان بن الحكم، فلقي المخارق فهُزم أصحاب المخارق، وأُسروا، وقُتل عدد منهم، وبعث بهم الوليد إلى عبد الله، وبعث عبد الله بهم إلى أبيه مروان، وكان المخارق بين الأسرى، وكلمه مروان وهو لا يعرفه، وأنكر المخارق نفسه، فخلّى سبيله.

وبلغ عبد الله بن عليّ انهزام المخارق، فقال له موسى بن كعب: اخرج إلى مروان قبل أن يصل الفلّ إلى العسكر، فيظهر ما لقي المخارق. فدعا عبد الله بن عليّ محمد بن صول، فاستخلفه على العسكر، وسار وعلى ميمنته أبو عون عبد الملك بن يزيد الأزدي، وكان على ميسرة مروانَ الوليدُ بن معاوية بن مروان بن الحكم. فقال مروان بن محمد لما التقى العسكر لعبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز: إن زالت الشمس اليوم ولم يقاتلونا كنا الذين ندفعها إلى عيسى ابن مريم، وإن قاتلونا قبل الزوال، فإنا لله وإنا إليه راجعون. وأرسل مروان إلى عبد الله بن عليّ يسأله الموادعة، فقال عبد الله: كذب ابن زريق، ولا تزول الشمس حتى أوطئه الخيل - إن شاء الله -. فقال مروان لأهل الشام: قفوا لا تبدؤوهم بقتالٍ، فجعل ينظر إلى الشمس، فحمل الوليد بن معاوية بن مروان بن الحكم، وهو ختن مروان على ابنته، فغضب وشتمه، وقاتل ابن معاوية بميسرة مروان ميمنة عبد الله بن عليّ وعليها أبو عون، فانحاز أبو عون إلى عبد الله بن عليّ، فقال موسى بن كعب لعبد الله بن عليّ: مُر الناس فلينزلوا، فنودي: الأرض، فنزل الناس، وأشرعوا الرماح، وجثوا على الركب، فقاتلوهم، فجعل أهل الشام يتأخّرون

كأنهم يُدفعون، واشتدّ القتال بينهم[1].

ويبدو أن جند مروان قد هابوا خصمهم فأصابهم الوهن، وضعفت الروح المعنوية عندهم رغم أن الوليد بن معاوية قد انتصر على المخارق وقتل وأسر الكثير من جنده، كما انتصر الوليد نفسه وهو على الميسرة على ميمنة عبد الله بن عليّ وعليها أبو عون القائد المعروف عند أبي العباس. كما أن قائدهم هو الخليفة ويكفي هذا لرفع الروح المعنوية، وهو في الوقت نفسه قائد مُدرّب، وفي الحروب مُجرّب، وله صبر على القتال قلّما يتصف به غيره، وأيامه معروفة، ووقائعه مشهورة تشهد له أرض الجزيرة، وأرمينية، وأذربيجان، ثم بلاد الروم، وكذلك تشهد لأبيه محمد بن مروان من قبل. وربما جاء هذا الضعف في أن الخليفة مروان بن محمد طلب الموادعة من عبد الله بن علي فرفض، ومن طلب مروان من جنده عدم البدء بالقتال، ومن غضبه وشتمه لختنه الوليد بن معاوية لأنه بدأ بالقتال بل ودحر ميمنة الخصم. ولكن إذا انهارت المعنويات، ودبّ الوهن، وحلّ الخور لا تجدي كثرة، ولا ينفع سلاح، ولا تصلح قيادة.

---

(١) تاريخ الطبري.

قال مروان لقضاعة: انزلوا، فقالوا: قل لبني سُليم فلينزلوا، فأرسل إلى السكاسك أن احملوا، فقالوا: قل لبني عامر فليحملوا، فأرسل إلى السَّكون أن احملوا، فقالوا: قل لغطفان فليحملوا، فقال لصاحب شرطه: انزل، فقال: لا والله ما كنت لأجعل نفسي غرضاً. قال: أما والله لأسوءنّك، قال: وددت والله أنك قدرت على ذلك[1].

ويبدو أثر النزعة العصبية؛ فقضاعة، والسكاسك، والسَّكون قبائل يمانية، وسُليم، وعامر، وغطفان قبائل مضرية. ويمكن الحكم على نتيجة المعركة من هذا الموقف، فالجيش الذي يقوده مروان مُفكّك عصبيةً، ضعيف معنوياً، لا هدف له، على حين أن جيش عبد الله بن عليّ متماسك، له هدف، ويحمل آمالاً.

هُزم جيش مروان، وانهزم مروان، وقُطع الجسر، فكان من غرق يومئذٍ أكثر ممن قُتل، وكان ممن غرق إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك بن مروان الخليفة المخلوع.

وجاء عبد الله بن عليّ فأمر بإعادة الجسر على نهر

---

(١) المصدر السابق نفسه.

الزاب، واستخراج الغرقى فأخرجوا ثلاثمائةٍ، فكان فيمن أخرجوا إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك، فتلا عبد الله بن عليّ: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾﴾[1].

وكتب عبد الله بن عليّ إلى أبي العباس السفاح بالفتح، وهربِ مروان، وحوى عسكر مروان بما فيه، فوجد فيه سلاحاً كثيراً وأموالاً، ولم يجدوا فيه امرأةً إلا جارية كانت لعبد الله بن مروان، فلما أتى أبا العباس كتابُ عبد الله بن عليٍّ صلى ركعتين، ثم تلا: ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ ۚ فَشَرِبُوا۟ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۚ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ قَالُوا۟ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ وَلَمَّا بَرَزُوا۟ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ

---

(١) سورة البقرة: الآية ٥٠.

﴿وَءَاتَـٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ. . .﴾[1] وأمر لمن شهد الوقعة بخمسمائةٍ خمسمائةٍ، ورفع أرزاقهم إلى الثمانين.

ولما كانت نتيجة موقعة الزاب هزيمةَ مروان بن محمد، وهربَه، وهو الخليفة نفسه، وقد عُرف بحسن القيادة، والحنكة في الحرب، والبطولة، والشدّة في القتال، والصبر في المعارك، فإن المعارك التي بعدها ستكون جانبيةً وبالتالي عُرفت نتيجة الصراع بين قيادة أبي العباس وخلافة مروان. بل لم تكن تلك المعارك سوى هرب المغلوب، ومتابعة الغالب، وتأييدٍ للقادم المنتصر.

كانت موقعة الزاب يوم السبت لإحدى عشرة ليلة خلت من جمادى الآخرة، وكان فيمن قُتل يومذاك يحيى بن معاوية بن هشام بن عبد الملك ـ أخو عبد الرحمن صاحب الأندلس ـ. فلما تقدّم عبد الله بن عليّ للقتال رأى فتىً عليه أبهة الشرف يقاتل مستقتلاً فناداه: يا فتى لك الأمان ولو كنت مروان بن محمد، فقال: إن لم أكنه فلست دونه، قال: فلك الأمان ولو كنت من كنت، فأطرق ثم قال:

---

(1) سورة البقرة: الآيات ٢٤٩ ـ ٢٥١.

أذلّ الـحـيـاة وكـره الـمـمـات

وكـلاً أراه طـعـامـاً وبـيـلا

فـإن لـم يـكـن غـيـر إحـداهـمـا

فـسـيـر إلى الـمـوت سـيـراً جـمـيـلا

ثـم قـاتـل حـتـى قـتـل فـإذا هـو مـسـلـمـة بـن عبد الملك[1].

الموصل:

انهزم مروان بن محمد حتى أتى مدينة الموصل، وعليها هشام بن عمرو التغلبي وبشر بن خزيمة الأسدي، فقطعوا الجسر، فناداهم أهل الشام: هذا مروان، قالوا: كذبتم أمير المؤمنين لا يفرّ، فسار إلى بلدٍ فعبر دجلة.

وكتب أبو العباس إلى عمه عبد الله بن عليّ يأمره باتباع مروان، فسار عبد الله إلى الموصل فتلقّاه هشام بن عمرو التغلبي وبشر بن خزيمة الأسدي، وقد سوّدوا في أهل الموصل، ففتحوا له المدينة، فولّى عبد الله بن عليّ على الموصل محمد بن صول، وانطلق وراء مروان.

---

(١) الكامل في التاريخ ـ ابن الأثير. وانفرد بذلك.

حرّان:

سار مروان إلى حرّان، وهي مقرّ سلطانه، وبها أبان بن يزيد بن محمد بن مروان، ابن أخيه عامله عليها، فأقام مروان بها نيّفاً وعشرين يوماً. فلما دنا منه عبد الله بن عليّ حمل أهله وولده وعياله ومضى منهزماً، وخلّف بمدينة حرّان ابن أخيه أبان بن يزيد، وكانت تحته ابنة لمروان يقال لها: أم عثمان. وقدم عبد الله بن عليّ، فتلقّاه أبان مسوّداً مبايعاً له، فبايعه ودخل في طاعته، فآمنه ومن كان بحرّان الجزيرة، وهدم عبد الله بن عليّ الدار التي حُبس فيها ابن أخيه إبراهيم بن محمد.

منبج:

وسار عبد الله بن علي من حرّان إلى منبج، وقد سوّد أهلها، فنزل منبج، وولّاها أبا حميد المرورذي. ولم يمرّ على منبج.

قنّسرين:

مضى مروان حتى مرّ بقنّسرين وعبد الله بن عليّ متتبع له، فترك مروان قنّسرين، وارتحل إلى حمص. وقدم عبد الصمد بن عليّ إلى منبج في أربعة آلافٍ

مدداً لأخيه عبد الله بن عليّ، أمدّه به أبو العباس، ويعث أهل قنّسرين ببيعتهم إلى عبد الله بن عليّ وهو في منبج، وأتاه بها عنهم أبو أمية التغلبي، فأقام عبد الله بن عليّ يومين بعد قدوم أخيه عبد الصمد إليه، ثم سار إلى قنّسرين، فأتاها وقد سوّد أهلها، فأقام يومين، ثم تبع مروان إلى حمص.

حمص:

كان مروان قد وصل إلى حمص، فتلقّاه أهلها بالأسواق، وبالسمع والطاعة فأقام بها يومين أو ثلاثة، ثم ارتحل عنها، فلما رأى أهل حمص قلّة من معه طمعوا فيه، وقالوا: مرعوب منهزم، فاتّبعوه بعدما رحل عنهم، فلحقوه على أميالٍ، فلما رأى غبرة خيلهم أكمن لهم في واديين قائدين من مواليه، يقال لأحدهما يزيد، وللآخر مخلّد، فلما دنوا منه وجازوا الكمينين، ومضى الذراري صافّهم فيمن معه وناشدهم فأبوا إلا قتاله، فنشب القتال بينهم، وثار الكمينان من خلفهم، فهزمهم وقتلتهم خيله حتى انتهوا إلى قرب المدينة.

وصل عبد الله بن عليّ إلى حمص، فأقام بها أياماً، وبايع أهلها، ثم سار إلى بعلبك، فأقام يومين ثم ارتحل، فنزل بـ(عين الجر)، فأقام يومين ثم ارتحل.

دمشق:

مرّ مروان بن محمد على دمشق، وعليها ابن عمه الوليد بن معاوية بن مروان، وهو ختنه زوج ابنته أم الوليد، فمضى مروان، وخلّف ابن عمه الوليد بن معاوية على دمشق حتى قدم عبد الله بن عليّ.

وصل عبد الله بن عليّ إلى دمشق من ناحية الغرب قادماً من بعلبك، فنزل المِزّة وهي قرية غرب دمشق فأقام. وقدم عليه أخوه صالح بن عليّ قادماً من حمص فنزل مرج عذراء شمال شرقي دمشق على خمسة عشر ميلاً، ومعه ثمانية آلاف، وبسام بن إبراهيم والهيثم بن بسام. ثم تحركت القوات العباسية إلى دمشق. فنزل عبد الله بن عليّ على الباب الشرقي، ونزل صالح بن علي على باب الجابية، ونزل أبو عون عبد الملك بن يزيد الأزدي على باب كيسان، ونزل بسام بن إبراهيم على باب الصغير، وحميد بن قحطبة على باب توما، وعبد الصمد بن علي، ويحيى بن صفوان، والعباس بن يزيد على باب الفراديس. وفي دمشق الوليد بن معاوية بن مروان من قبل مروان بن محمد، فحاصر العباسيون أهل دمشق والبلقاء، وأخذت العصبية تظهر داخل المدينة فقتل الناس بعضهم بعضاً،

وقتلوا الوليد بن معاوية، وفتحوا الأبواب للقادمين المحاصرين للمدينة يوم الأربعاء لعشرٍ مضين من رمضان سنة ثنتين وثلاثين ومائة، فكان أول من صعد سور المدينة من باب شرقي عبد الله الطائي، ومن قبل باب الصغير بسام بن إبراهيم فقاتلوا بها ثلاث ساعاتٍ. وأقام عبد الله بن علي بدمشق خمسة عشر يوماً، ثم تبع مروان بن محمد.

جنوبي الشام:

سار مروان بن محمد جنوباً فمرّ بالأردن، فشخص معه ثعلبة بن سلامة العاملي[1]، وكان عامله عليها، وتركها ليس عليها والٍ، حتى قدم عبد الله بن عليّ فولّى عليها، ثم قدم مروان فلسطين وعليها من قبله الرماحس بن عبد العزيز فشخص به، ومضى حتى قدم مصر. فكانت حركة مروان فراراً وليس للوصول إلى مكان والتحصّن فيه والاستعداد للقتال أو للدفاع على الأقل.

---

(١) ثعلبة بن سلامة بن جحدم العاملي: والٍ، من رجال الدولة المروانية بالشام، ولي الأردن ثم إمارة الأندلس، فأقام بقرطبة إلى أن خلفه عليها أبو الخطار سنة تسع عشرة ومائة بأمر هشام بن عبد الملك.
قتل مع مروان بن محمد سنة ثنتين وثلاثين ومائة بمصر.

تبع عبد الله بن علي جنوباً مروان بن محمد بعد خروجه من دمشق، فنزل عبد الله نهر الكسوة، ثم ارتحل إلى الأردن، فأتوه وقد سوّدوا، ثم نزل بيسان، ثم أتى نهر أبي فُطْرُس[1]. وهناك جاءه كتاب أبي العباس: أن وجّه صالح بن عليّ في طلب مروان. (وأن يبقى هو - أي عبد الله بن علي - على الشام).

مصر:

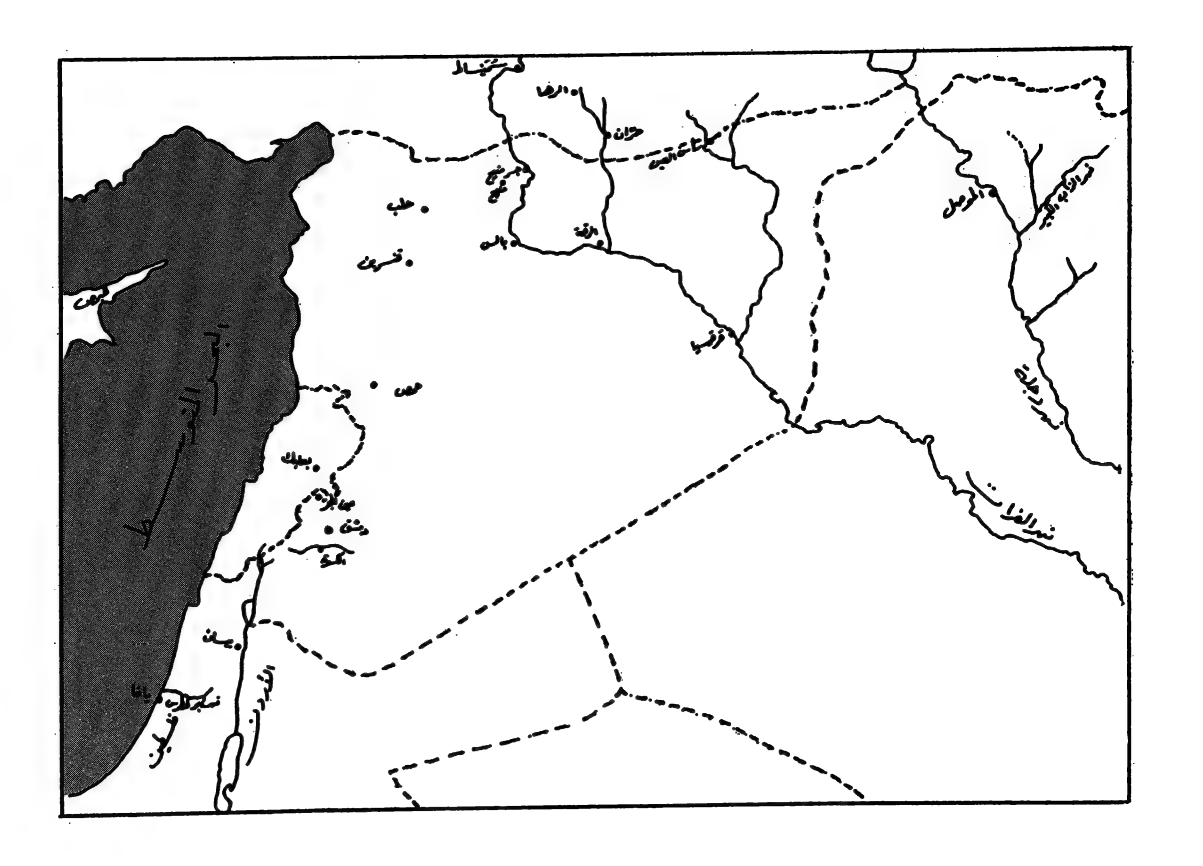
قدم مروان بن محمد مصر فسار إلى منطقة الفيوم بالصعيد، ونزل بلدة (بوصير)، واختبأ في كنيسة البلدة. وسار صالح بن علي خلف مروان فانطلق من نهر أبي فُطْرُس في شهر ذي القعدة سنة اثنتين وثلاثين ومائة، ومعه أبو عون عبد الملك بن يزيد الأزدي، وعامر بن إسماعيل الحارثي، وابن فتّان. فقدّم صالح بن عليّ على مقدمته أبا عون عبد الملك وعامر بن إسماعيل الحارثي ومعه شعبة بن كثير الحارثي، فلقوا خيلاً لمروان فهزموهم، وأسروا منهم رجالاً، فقتلوا بعضهم، واستحيوا بعضهم، فسألوهم عن مروان فأخبروهم

(١) نهر أبي فطرس، نهر العوجاء (اليوم)، ويصب في البحر المتوسط شمال مدينة يافا.

بمكانه، على أن يُؤمّنوهم، وساروا فوجدوه في كنيسة بوصير، ووافوهم في آخر الليل، فهرب الجند، وخرج إليهم في نفرٍ يسيرٍ، فأحاطوا به فقتلوه يوم الأحد لثلاثٍ بقين من ذي الحجة سنة اثنتين وثلاثين ومائة. وهرب ابنا مروان عبد الله وعبيد الله فوصلوا إلى أرض الحبشة، وقتل هناك عبيد الله، ونجا عبد الله مع عددٍ من رجاله، ووصل إلى منطقة فلسطين وأقام بها.

رجع صالح بن عليّ إلى الفسطاط، ثم انصرف إلى الشام، وخلّف أبا عون عبد الملك بن يزيد الأزدي على فلسطين، ودفع إليه الغنائم. وسلّم السلاح، والمال، والرقيق، إلى الفضل بن دينار.

وبمقتل مروان بن محمد أصبح عبد الله بن محمد أبو العباس خليفةً بالغلبة، وقد تمت له البيعة تدريجياً، وفي الوقت نفسه فقد انتهت الدولة الأموية، وقام عهد جديد هو العهد العباسي، وكان أبو العباس أول خليفةٍ عباسيٍّ.



الرها
حران
حلب
قنسرين
بالس
الرقة
قرقيسيا
الموصل
نهر دجلة
نهر الفرات
حمص
بعلبك
دمشق
بيسان
يافا
فلسطين

الفصل الثاني

توجيه السهام إلى العباسيين

سبق أن قلنا: أنه كانت هناك جماعة تعيش وسط المجتمع الإسلامي حاقدةً على الإسلام لقضائه على المجوسية ولاعتناقه من قِبل معظم أهلها، وحاقدةً على المسلمين الذين قضوا على حكام المجوس السابقين، ودانت بلادهم لحكام المسلمين.

هذه الجماعة وإن أظهرت الإسلام إلا أنها أسلمت بأفواهها ولم تؤمن قلوبها، وكان أكبر همّها، ومعظم سعيها، وغالب تفكيرها، وتخطيطها كله منصبّاً لضرب الإسلام، والعمل ضده، ومحاولة الهدم به من الداخل بإفساد العقيدة وتشويهها، حيث لاحظت هذه الجماعة مع حقدها وضلالها أن صفاء العقيدة الإسلامية وانسجامها مع الفطرة البشرية هو سبب قوة المسلمين، وسبب اندفاع الناس نحو هذه العقيدة واعتناقها.

كانت هذه الجماعة متلوّنةً تأخذ اللون الذي تريد، ولون البيئة التي تعيش فيها، ولون الحركة التي تندسّ فيها. وما من حركةٍ تعادي الإسلام إلا ويندسّ أفراد من هذه الجماعة بين أفراد تلك الحركة.

لم يكن بين هذه الجماعة وبين الأمويين عداوات، كما ليس بين الطرفين ثارات، ولكن الخلفاء من الأمويين يمثّلون الإسلام، لذا وجدت العداوة ورجدت الكراهية.

وليس بين هذه الجماعة المتلوّنة وبين العباسيين صلات، وليس بينهم قربى وصلة أرحام، ولكن العباسيين تحرّكوا ضد الخلفاء، وحركتهم تفتّ بالمجتمع الإسلامي وتحلّ من تماسكه، وتضعف الأمة الإسلامية، لذا اندسّ المتلوّنون بين أفراد الحركة العباسية، ورفعوا بها، وأظهروا المغالاة في حبّ البيت العباسي.

وليس بين المتلوّنين وبين الطالبيين مودّة ولا محبّة، ولكن تقوم حركات تدعى الانتماء للطالبيين لتكسب تأييداً، ولتحصل على كسبٍ، فاندسّوا في كل حركةٍ، وهم معهم ما دامت هذه الحركات تعمل على تفرقة الصف، وتعادي الخلافة، فإذا لم تفعل ذلك

تخلّوا عنها، وإذا آلت إليها الخلافة انقلبوا ضدّها يُعادون الطالبيين، كما كانوا يُعادون الأمويين، إذ ليس هناك من فرقٍ بين الأمويين والطالبيين عند المتلوّنين، سوى أن فريقاً بيده الخلافة ويعمل على وحدة المسلمين، ويقودهم ضد الأعداء جهاداً في سبيل الله، وفريقاً آخر يُحارب الخلافة سعياً وراء استلامها، وفي هذه المحاربة تشتيت للمسلمين وتفريق لكلمتهم.

وأسلوب المتلوّنين في بثّ الفتن، ومحاربة الخلافة، ومحاولة إضعاف الأمة يسير في محورين:

المحور الأول:

ويهدف إلى إفساد العقيدة وينتج عن ذلك الاختلاف، والتجزئة، والضعف، وعدم الإقبال على الإسلام بالصورة التي كان يُقبل عليها الناس، لصفاء العقيدة وانسجامها مع الفطرة البشرية. اختار المتلوّنون أحد المسلمين الأوائل، ومن الذين كان لهم دور بارز في الجهاد، والبطولة والمعرفة بالإسلام، ومن الذين لهم صلة وثيقة برسول الله ﷺ وأوثق الصلة القربى والنسب والإيمان، وقع اختيارهم على أحد الصحابة من قرابة رسول الله ﷺ ومن المقرّبين إليه، وأخذوا يُعطونه صفاتٍ غير عاديةٍ ترفعه فوق مستوى البشر في سبيل

إفساد العقيدة، وجاء عبد الله بن سبأ، وأظهر الإسلام وترك اليهودية، وأعطى علي بن أبي طالبٍ، رضي الله عنه، صفة الألوهية. وجاءت فرق فأخذت من السبئية بعض أفكارها وطرحت بعضها، غير أنها بقيت مغاليةً في عليٍّ، رضي الله عنه، وأعطته صفة حق الوراثة الشرعي من رسول الله ﷺ في الخلافة. وبعد أن استشهد، رضي الله عنه، نقلت هذا الحق إلى أبنائه من بعده، وأعطتهم صفة الإمامة والعصمة، وحصرت ذلك في أبناء الحسين بن علي، رضي الله عنهما، وحصرت ذلك في نسل علي زين العابدين بن الحسين لأن أمه أم ولد هي سلافة بنت يزدجرد، ومعروف من هو يزدجرد حيث يريدون أن يحمّلوا الأبناء عناصر وراثية من الأم والأب، ليبقى أثر لماضي عقيدة أسلاف الأم، وقد وضعوا أقوالاً توافق آراءهم، ونسبوها لرسول الله ﷺ. ومع الزمن وتنشئة الأجيال على هذه الأفكار أصبحت حقيقةً وقبلتها النفوس، وغدت تُردّد على الألسنة، وتُتداول.

المحور الثاني:

ويهدف إلى نشر معلوماتٍ غير صحيحةٍ عن خلفاء المسلمين لتقلّ هيبتهم في النفوس، ولما كانوا

يُمثّلون الإسلام، فإن مكانة الإسلام تنزل، وتقلّ الحماسة في الدفاع عنه. وما دامت توجد فئات وعشائر تُدافع عن الخلفاء لانتمائهم إليها، إضافةً إلى الفئات الواعية إلى الحقيقة، وتوجد مقابل ذلك فئات وجماعات تسعى وراء مصالحها أو تسير ضمن مخططاتٍ وراءها أهداف ومنها أولئك المتلوّنون، فإن الصراع سيقع وتتفرّق الكلمة، وتتجزّأ الأمة ويقع الوهن ويكون الضعف، وعندها يمكن للأعداء أن يهزموا المسلمين. . . وتعود المجوسية، وهذا الهدف البعيد للمتلوّنين.

أخذ المتلوّنون المغرضون يُثيرون الأحقاد بين أفخاذ قريش، ويبثّون الشائعات ضدّ الخلفاء، ويدخلون في كل خلافٍ يشعلون ناره ويزيدون أواره، ويُشجّعون على إيقاده، ويختلقون الأحداث ويدوّنونها حتى تكون في المستقبل حقائق، إذ يأتي من يصدقها كروايةٍ أو من يروّجها إن كان له هدف، كأن يكون من المتلوّنين أو من سلالتهم. ومن المؤسف أن كثيراً من تلك الأحداث المختلقة، ومن تلك الافتراءات في الروايات قد ضمّتها كتب المؤرخين الذين دوّنوا الأحداث، ودوّنوا الروايات دون النظر إلى صحتها، وتركوا أمر الحكم عليها

للقارئ، ظنّاً منهم أنه أهل علمٍ، كما تبنّى تلك الأحداث المختلقة والافتراءات أصحابها الذين اهتموا بتدوين كتب التاريخ وحشوها بما صاغوه من زورٍ ومن كذب، وغدت هذه الكتب مع الأسف مراجع للعامة، لذا بقيت الأكاذيب كما وضعت، وأعطت صورةً بشعةً عن الخلفاء وهم يمثّلون الإسلام، وسادة المسلمين، أخذ هذه الصورة المسلمون فكانت نظرتهم إلى تاريخهم غير حسنةٍ، ولا يرون غرابةً إذا ما حدثت إساءات في عصرهم، كما أخذ تلك الصورة البشعة عن خلفاء المسلمين المستشرقون، فنقلوها إلى شعوبهم مع إضافاتٍ من عندهم، فكانت نظرتهم إلى الإسلام غير طيبةٍ تنفّرهم منه ولا تقرّبهم إليه، وهذا ما يرمي إليه أعداء الإسلام عامة، سواء أكانوا من المتلوّنين في التاريخ أم من المستشرقين.

بقي المتلوّنون طيلة العهد الأموي يبثّون الشائعات عن خلفاء العهد، ويختلقون الأحداث، ويفترون الروايات، فلما بدأت الحركة العباسية وعلم بها أفرادهم الذين يدسّون أنوفهم في كل لقاءٍ، ويشمّون روائح الفرقة من مسافاتٍ فيسرعون نحوها ويتسلّلون إلى داخلها.

دخل كثير من المتلونين في الحركة العباسية، وأظهروا ولاءهم الشديد لها، وأبدوا حبّهم الجمّ لآل العباس، وما كانوا يقولونه في الطالبيين غدوا يتحدّثون به عن العباسيين، ويضعون الروايات المكذوبة في الثناء على العباسيين ما دام العباسيون يعملون بالخفاء ضد الخلفاء القائمين، وما دام تحرّكهم يُسبّب خلافاً في المجتمع الإسلامي وضعفاً في الأمة.

وشاءت إرادة الله أن تقوم الدولة العباسية وأن تنتهي الدولة الأموية، ويتسلّم العباسيون الخلافة، ويصبح أفراد منهم خلفاء. وهنا يجب على المتلوّنين أن يُغيّروا خطّهم، وأن يُبدّلوا مسارهم، فخطّهم الهجوم على الخلفاء بصفتهم يمثّلون الإسلام، وغدا الخلفاء من العباسيين، فيجب أن يكون الهجوم عليهم مكان الهجوم على الأمويين الذين زالوا عن الساحة وابتعدوا عن الخلافة، وما كانوا يوجّهونه للأمويين يجب أن يوجّهوه الآن إلى العباسيين. أما مسارهم فهو التفرقة بين المسلمين في سبيل إضعاف الأمة بالتجزئة، والتشتيت، والفتنة، والصراع، والقتال. وما دام العباسيون قد آل إليهم الأمر، فيجب أن توجد جماعة تُعاديهم، وتعمل على حربهم، والدخول معهم في صراعٍ، ولن يُؤمّن

هذا إلا ببثّ الشائعات ضدّهم، واختلاق الأحداث المكذوبة وإشاعتها وتدوينها من أجل المستقبل.

أخذ الهجوم على العباسيين، ولم يتسلّموا الأمور بصورةٍ شرعيةٍ بعد، فما أن بويع عبد الله بن محمد أبو العباس البيعة في الكوفة يوم الجمعة لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الثاني سنة اثنتين وثلاثين ومائة حتى أخذ بثّ الشائعات يأخذ طريقه، وبدأ موضوع اختلاق الحوادث يتجه في مساره، وحتى وجدت على العباسيين نقمة أثارت الكراهية ضدّهم، وهم لا يزالون يسيرون في درب الوصول إلى الهدف، حيث تُلاحق جيوشهم الخليفة الشرعي مروان بن محمد، وهو يفرّ أمامهم من موقعٍ إلى آخر، وما أن وصل إلى مصر ولقي حتفه، وأصبح أبو العباس خليفة شرعياً حتى كانت النقمة عليه قد تفاقمت وخاصةً في الشام، وليس ذلك لأن الشام كانت مقرّ الأمويين ومركز ثقلهم، ولكن لتصرّفات المتلوّنين الذين معهم، يتحرّكون مع الجيوش العباسية.

السفّاح:

عندما يصل إنسان بالغلبة إلى السلطان يُظهر القوة، ويُبدي الإمكانات، ويُهدّد باستعمال العنف كي

يهابه أعوان الطرف المغلوب فلا يتحرّكون، ويخافه العامة فلا يجرؤون على الوقوف في وجهه، وحتى لا يستضعفه الناس فيُثيرون الفوضى. وهذا ما جعل أبا العباس عبد الله بن محمد يختم خطبته الأولى، بعد أن بويع يوم الجمعة لاثنتي عشرة من ربيعٍ الثاني سنة اثنتين وثلاثين ومائة بقوله: فأنا السفّاح المبيح، والثائر المبير.

واستغلّ المتلوّنون هذه العبارة وأشاعوا عن أبي العباس أنه سفّاح لا يتقيّد بشرعٍ، ولا يحفظ عهداً، ولا يرعى ذِمّةً، وزادوا في الشائعات حتى يكره الناس الخليفة، ويتحدّثون فيما بينهم عن سفك الدماء، ولينظر الأعداء إلى خلفاء المسلمين نظرةً بشعةً، وليقولوا إن كانت الخيرة هكذا فكيف العامة؟.

وكان المتلوّنون يُثيرون السفّاح على الذين يظنّ أنهم خصومه، سواء أكانوا من بني أمية أم من غيرهم، فيتكلمون عنهم، ويُوهمونه أن خصومه يخططون للعمل ضدّه، ويتصلون بالناس للغرض نفسه حتى يُقدم على الفتك بهم، ولم يُعرف السبب طبعاً، فيُصدّق الناس عنه أنه سفّاح، وأنه لا يخشى الله، ولا يرعى حرمةً لأحدٍ.

دخل سُدَيْف[1] على أبي العباس وعنده سليمان بن هشام بن عبد الملك، وقد أكرمه، فقال سديف:

لا يغرّنّك ما ترى من رجالٍ
إن تحت الضلوع داءً دويّا
فضع السيف وارفع السوط حتى
لا ترى فوق ظهرها أمويّا

فقال سليمان: قتلتني يا شيخ. ودخل السفاح، وأُخذ سليمان فقُتل[2].

المتلوّنون:

وحرّض المتلوّنون أيضاً القادة العباسيين على الفتك ببني أمية، فعمل القادة ينسب إلى السادة الخلفاء، ومن ناحيةٍ ثانيةٍ، فإن العامة تضمر أحقاداً على هذه التصرّفات البعيدة عن الإيمان وعن الخلق

---

(١) سُدَيْف بن إسماعيل بن ميمون، مولى بني هاشم: شاعر حجازي غير مكثر، من أهل مكة. كان أعرابياً بدوياً حالك السواد، شديد التحريض على بني أمية، أظهر التعصّب لبني هاشم في العهد الأموي، ثم أبدى التعصّب للعباسيين خاصةً، فلما آل إليهم الأمر أظهر التعصّب للطالبيين فقتله عبد الصمد بن علي عامل المنصور على مكة سنة ستٍ وأربعين ومائة.

(٢) الكامل في التاريخ ـ ابن الأثير.

الإسلامي، بل وربما أشاعوا أن هذه الأعمال إنما كانت بأمر الخلفاء.

دخل شبل بن عبد الله، مولى بني هاشم، على عبد الله بن علي، وعنده من بني أمية نحو تسعين رجلاً على الطعام، فأقبل عليه شبل فقال:

أصبح الملك ثابت الأساس
بالبهاليل من بني العباس
طلبوا وتر هاشمٍ فشفوها
بعد ميلٍ من الزمان وباس
لا تقيلن عبد شمسٍ عثاراً
واقطعن كلّ رقلةٍ وغراس
ذلّها أظهر التودّد منها
وبها منكم كحرّ المواسي
ولقد غاظني وغاظ سوائي
قربهم من نمارق وكراسي
أنزلوها بحيث أنزلها اللـ
ـه بدار الهوان والإتعاس
واذكروا مصرع الحسين وزيداً
وقتيلاً بجانب المهراس
والقتيل الذي بحرّان أضحى
ثاوياً بين غربةٍ وتناسي

فأمر بهم عبد الله فضُرِبوا بالعُمُد حتى قُتلوا، وبسط عليهم الأنطاع، فأكل الطعام عليها، وهو يسمع أنين بعضهم حتى ماتوا جميعاً[1].

وسار المتلوّنون مع الجيوش العباسية، وأخذوا القيام بأعمالٍ منكرةٍ يرفضها الإسلام وتأباها الأخلاق، ولا فائدة منها سوى الإساءة للعباسيين، وكره العامة لهم، وجعل الناس يمقتونهم، بل ويحملون عليهم لهذه التصرفات المشينة، والتي كان منها نبش القبور، وقد بليت عظام أصحابها، ثم الادعاء أن القائد هو الذي أمر بها. وأمر عبد الله بن علي بنبش قبور بني أمية بدمشق، فنُبش قبر معاوية بن أبي سفيان فلم يجدوا فيه إلا خيطاً مثل الهباء، ونبش قبر يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، فوجدوا فيه حطاماً كأنه الرماد، ونُبش قبر عبد الملك بن مروان فوجدوا جمجمته، وكان لا يوجد في القبر إلا العضو بعد العضو، غير هشام بن

---

(١) الكامل في التاريخ - ابن الأثير. وواضح أن هذا الكلام من وضع المتلوّنين والقصد إظهار العباسيين خلفاءَ وقادةً أنه لا إيمان في نفوسهم ولا رحمةً، من مثل هذا التصرف. وهل يمكن أن يقوم إنسان بمثل هذا العمل مع ضيوفٍ مجرد سماع قول شاعرٍ مولىً.

عبد الملك فإنه وُجد صحيحاً لم يبل منه إلا أرنبة أنفه فضربه بالسياط، وصلبه، وحرقه، وذرّه في الريح[1].

وتتبّع بني أمية من أولاد الخلفاء وغيرهم، ولم يفلت منهم إلا رضيع أو من هرب إلى الأندلس، فقتلهم بنهر أبي فُطرس، وكان فيمن قتل محمد بن عبد الملك بن مروان، والغمر بن يزيد بن عبد الملك، وعبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك، وسعيد بن عبد الملك، وقيل: إنه مات قبل ذلك، وأبو عبيدة بن الوليد بن عبد الملك، وقيل: إبراهيم بن الوليد المخلوع قتل معهم، واستصفى كل شيءٍ لهم من مالٍ وغير ذلك، فلما فرغ منهم قال:

بني أمية قد أفنيت جمعكمُ
فكيف لي منكم بالأول الماضي
يطيب النفس أن النار تجمعكم
عوضتم من لظاها شرّ معتاض
منيتم لا أقال الله عثرتكم
بليث غابٍ إلى الأعداء نهاض
إن كان غيظي لفوت منكم فلقد
منيت منكم بما ربي به راض

---

(١) ما الفائدة من هذه التصرفات سوى الإساءة لمرتكبها وخليفته.

وقيل: إن سديفاً أنشد هذا الشعر للسفاح ومعه كانت الحادثة، وهو الذي قتلهم.

وقتل سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس بالبصرة أيضاً جماعةً من بني أمية عليهم الثياب الموشية المرتفعة، وأمر فجّروا بأرجلهم فأُلقوا على الطريق فأكلتهم الكلاب.

فلما رأى بنو أمية ذلك اشتدّ خوفهم، وتشتّت شملهم، واختفى من قدر على الاختفاء، وكان ممن اختفى منهم عمرو بن معاوية بن عمرو بن سفيان بن عتبة بن أبي سفيان قال: وكنت لا آتي مكاناً إلا عُرفت به فضاقت عليّ الأرض، فقدمت على سليمان بن عليّ - وهو لا يعرفني - فقلت: لفظتني البلاد إليك، ودلّني فضلك عليك، فإما قتلتني فاسترحت، وإما رددتني سالماً فأمنت، فقال: ومن أنت؟ فعرفته بنفسي، فقال: مرحباً بك، ما حاجتك؟ فقلت: إن الحرم اللواتي أنت أولى الناس بهنّ وأقربهن إليهم قد خفن لخوفنا، ومن خاف خيف عليه، قال: فبكى كثيراً، ثم قال: يحقن الله دمك، ويوفر مالك، ويحفظ حرمك. ثم كتب إلى السفاح: يا أمير المؤمنين، إنه قد وفد وافد من بني أمية علينا، وإنا إنما قتلناهم على عقوقهم لا على أرحامهم،

فإننا يجمعنا وإياهم عبد مناف، والرحم تبلّ ولا تقتل، وترفع ولا توضع، فإن رأى أمير المؤمنين أن يهبهم لي فليفعل، وإن فعل فليجعل كتاباً عاماً على البلدان، نشكر الله تعالى على نِعَمه عندنا وإحسانه إلينا. فأجابه إلى ما سأل، فكان هذا أول أمان بني أمية[1].

إن نبش القبور وحوادث القتل التي ذكرت، إنما هي من صياغة المتلوّنين وافتراءاتهم، وقد أشاعوها كثيراً في المجتمع يومذاك، ورووها عن مصادر مختلفةٍ، ويظهر ذلك في اختلاف الروايات، حيث يروى مقتل شخص في عدة حوادث، كما دوّن المتلوّنون هذه الافتراءات في كتبهم التي خطّوها حتى زاد شيوعها فنقلها - مع الأسف - أصحاب كتبٍ عُرفوا بصدقهم وحسن اختيارهم، وبذا عمّت تلك الفرى وبقيت متداولة إلى يومنا هذا.

---

(١) الكامل في التاريخ - ابن الأثير.
إن من يفعل هذا لا يمكن أن يقوم بالفعلة السابقة التي نسبت إليه، وهي القتل وترك الجثث تأكلها الكلاب. لا يمكن لمسلم مهما بلغت به الأحقاد أن ينبش قبوراً مضى على موت صاحبها أكثر من نصف قرن، وما الفائدة من نبش تلك القبور.

إن ما قام به المتلوّنون في جيوش الدعوة العباسية من نبشٍ للقبور، وقتلٍ للأعيان، وإساءةٍ للناس قد أثار السكان، وجعلهم يكرهون القادمين قبل أن يستقرّ لهم الوضع، ويبغضون رجالات الدعوة قبل أن يؤول إليهم الأمر، وشُحنت نفوس العامة كرهاً مما قام به أولئك المندسّون في صفوف العباسيين. وهذه النفوس المشحونة كانت تُثار لأقل حادثة إساءةٍ، وتتجاوب مع كل انتفاضةٍ تقوم ضدّ الوضع الجديد الذي لم يتمكّن بعد، بل لم يزل الخليفة الشرعي مروان بن محمد حيّاً. ومن هذه الحركات التي قامت ضد العباسيين:

١ ـ حركة أبي الورد في قنّسرين:

كان أبو الورد مجزأة بن الكوثر بن زُفر بن الحارث الكلابي من أصحاب مروان بن محمد ومن أمرائه وفرسانه، فلما هُزم مروان، وأبو الورد بقنّسرين، قدمها عبد الله بن عليّ، فبايعه ودخل فيما دخل فيه جنده من الطاعة. وكان ولد مسلمة بن عبد الملك مجاورين له في (بالس)[1]

---

(١) بالس: بلدة بالشام بين حلب والرقة، سميت فيما ذكر باسم بالس بن الروم بن اليَقَن بن سام بن نوح، وكانت على ضفة الفرات الغربية، فلم يزل الفرات يُشرّق عنها قليلاً قليلاً حتى=

و(الناعورة)[1]. فقدم (بالس) قائد من قواد عبد الله بن

= صار بينهما أربعة أميال.

قال البلاذري: سار أبو عبيدة حتى نزل عَرَاجين، وقدّم مقدمته إلى بالس، وبعث جيشاً عليه حبيب بن مسلمة إلى قاصرين، وكانت بالس وقاصرين لأخوين من أشراف الروم، أُقطعا القرى التي بالقرب منها، وجُعلا حافظين لما بينهما من مدن الروم. فلما جاء المسلمون صالحهم أهل هذه المنطقة على الجزية أو الجلاء، فجلا أكثرهم إلى بلاد الروم، وأرض الجزيرة، وقرية جسر منبج، ولم يكن الجسر يومئذٍ، وإنما اتُّخذ في زمن عثمان بن عفان، رضي الله عنه، للصوائف، ويقال: بل كان له رسم قديم، وأسكن بالس وقاصرين قوماً من العرب والبوادي، ثم رفضوا قاصرين.

فلما كان مسلمة بن عبد الملك توجّه غازياً إلى الروم من جهة الثغور الجزرية عسكر ببالس فأتاه أهلها وأهل بوَيلس وقاصرين وعابدين وصفين، وهي قرى منسوبة إليها، فسألوه جميعاً أن يحفر لهم نهراً من الفرات يسقي أرضهم على أن يجعلوا له الثلث من غلاتهم بعد عشر السلطان الذي كان يأخذه، فحفر لهم نهراً عُرف باسم نهر مسلمة، ووفوا له بالشرط، ورمم سور المدينة وأحكمه، فلما مات مسلمة صارت بالس وقراها لورثته، فلم تزل في أيديهم حتى جاءت الدولة العباسية، وقبض عبد الله بن علي أموال بني أمية فدخلت فيها، فأقطعها أبو العباس إلى محمد بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس. فلما مات صارت للرشيد، فأقطعها ابنه المأمون فصارت لولده من بعده.

(١) ناعورة: موضع بين حلب وبالس، فيه قصر لمسلمة بن عبد الملك، بينه وبين حلب ثمانية أميال.

عليّ من المتلوّنين ومعه مائة وخمسون فارساً، فأساء إلى ولد مسلمة بن عبد الملك ونسائهم. فشكا بعضهم إلى أبي الورد، فخرج من مزرعةٍ له يقال لها زرّاعة بني زفر ـ ويقال لها خُساف[1] ـ في عدةٍ من أهل بيته حتى هجم على ذلك القائد وهو نازل في حصن مسلمة، فقاتله حتى قتله ومن معه، وأزال السواد، وأظهر البياض، وخلع عبد الله بن عليّ، ودعا أهل قنسرين إلى ذلك، فبيّضوا بأجمعهم، وأبو العباس يومئذٍ بالحيرة، وعبد الله بن عليّ مشغول بقتال حبيب بن مرّة المرّيّ بأرض البلقاء وحوران. فدعا عبد الله بن عليّ حبيباً إلى الصلح فصالحه وآمنه ومن معه، وخرج متوجّهاً نحو قنسرين للقاء أبي الورد، فمرّ بدمشق فخلف فيها أبا غانم عبد الحميد بن ربعي الطائي في أربعة آلاف رجلٍ من جنده، ومضى عبد الله بن عليّ ـ وقد كان تجمّع مع أبي الورد جماعة أهل قنسرين، وكاتبوا من يليهم من أهل حمص وتدمر، فقدم إليهم ألوف، عليهم أبو محمد بن عبد الله بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، فرأسوا عليهم أبا محمد، وقالوا: هو السفياني الذي كان يذكر، وهم في نحوٍ من أربعين ألفاً ـ فلما دنا منهم

---

(١) خُساف: برية بين بالس وحلب، وهي تبعد خمسة عشر ميلاً.

عبد الله بن عليّ وأبو محمد معسكر في جماعته بمرج يقال له مرج الأخرم ـ وأبو الورد المتولّي لأمر العسكر والمدبّر له وصاحب القتال والوقائع ـ وجّه عبد الله بن عليّ أخاه عبد الصمد بن عليّ في عشرة آلاف من فرسان من معه، فناهضهم أبو الورد، ولقيهم فيما بين العسكرين، واشتجر القتال فيما بين الفريقين، وثبت القوم، وانكشف عبد الصمد بن عليّ ومن معه، وقُتل منهم يومئذٍ ألوف، وأقبل عبد الله حيث أتاه عبد الصمد ومعه حميد بن قحطبة وجماعة ممن معه من القواد، فالتقوا ثانيةً بمرج الأخرم، فاقتتلوا قتالاً شديداً، وانكشف جماعة ممن كان مع عبد الله، ثم ثابوا، وثبت لهم عبد الله وحميد بن قحطبة فهزموهم، وثبت أبو الورد في نحو من خمسمائةٍ من أهل بيته وقومه، فقتلوا جميعاً، وهرب أبو محمد ومن معه من الكلبية حتى لحقوا بتدمر، وآمن عبد الله أهل قنسرين، وسوّدوا وبايعوه، ودخلوا في طاعته، ثم انصرف راجعاً إلى أهل دمشق[1].

ولم يزل أبو محمد متغيّباً هارباً، ولحق بأرض

---

(١) تاريخ الطبري.

الحجاز. وبلغ زياد بن عبد الله الحارثي عامل أبي جعفر مكانه الذي تغيّب فيه، فوجّه إليه خيلاً، فقاتلوه حتى قُتل، وأخذ ابنين له أسيرين، فبعث زياد برأس أبي محمد وابنيه إلى أبي جعفر أمير المؤمنين، فأمر بتخلية سبيلهما وآمنهما.

٢ ـ حركة حبيب بن مرّة المرّي:

كان حبيب من قادة مروان بن محمد وفرسانه، وكان في البلقاء، فلما سوّدت الأردن، كان بين من بايع عندما وصل عبد الله بن علي إلى منطقتهم، فلما غادرهم عبد الله إلى فلسطين، وأتى نهر أبي فُطْرُس، خاف حبيب على نفسه وعلى قومه، فبايعته قيس وغيرهم ممن يليهم من أهل تلك الكور: البلقاء، حوران، البَثَنيّة[١].

ولقيه عبد الله بن عليّ في جموعه فقاتله، وكان بينهما وقعات، فلما بلغ عبد الله بن علي حركة أبي الورد في قنسرين، دعا حبيب بن مرة إلى الصلح فصالحه، وآمنه ومن معه، وخرج متوجّهاً إلى قنسرين للقاء أبي الورد.

---

(١) البَثَنيّة: منطقة بين دمشق وأذرعات (درعا)، وقيل: قرية.

٣ ـ حركة دمشق:

لما خرج عبد الله بن عليّ متوجهاً نحو قنسرين للقاء أبي الورد فمرّ بدمشق، فخلّف فيها أبا غانم عبد الحميد بن ربعي الطائي في أربعة آلاف رجلٍ من جنده، وكان بدمشق يومئذٍ امرأة عبد الله بن عليّ أم البنين بنت محمد بن عبد المطلب النوفلية أخت عمرو بن محمد، وأمهات أولاد لعبد الله، وثَقَل له. فلما قدم حمص في وجهه ذلك انتفض عليه بعده أهل دمشق، فبيّضوا ونهضوا مع عثمان بن عبد الأعلى بن سرادقة الأزدي، فلقوا أبا غانم ومن معه، فهزموه وقتلوا من أصحابه مقتلةً عظيمةً، وانتهبوا ما كان عبد الله بن عليّ قد خلّف من ثَقَله، ولم يعرضوا لأهله، وبيّض أهل دمشق، واستجمعوا على الخلاف، ومضى عبد الله بن عليّ إلى أبي الورد، فلما انتهى منه رجع إلى دمشق، فحين دنا منها هرب الناس وتفرّقوا، ولم يكن بينهم وقعة، وآمن عبد الله أهلها، وبايعوه ولم يأخذهم بما كان منهم.

٤ ـ حركة الجزيرة الفراتية:

حين بلغ أهل الجزيرة خروج أبي الورد وانتفاض أهل قنسرين، نقضوا وبيّضوا وساروا إلى حرّان، وعليها يومئذ موسى بن كعب في ثلاثة آلافٍ من الجند،

فتشبّث بحرّان، وساروا إليه مبيّضين من كل وجهٍ، وحاصروه ومن معه، وأمرهم مشتت، ليس عليهم رأس يجمعهم. فقدم عليهم بعد ذلك إسحاق بن مسلم من أرمينية، وكان قد رحل عنها حين بلغته هزيمة مروان بن محمد، فرأسه أهل الجزيرة عليهم، وحاصر موسى بن كعب نحواً من شهرين.

وجّه أبو العباس أخاه أبا جعفر فيمن كان معه من الجنود التي كانت بواسط محاصرة يزيد بن عمر بن هبيرة، فمضى حتى مرّ بـ(قرقيسيا)، وأهلها مبيضون، وقد أغلقوا أبوابها دونه، ثم قدم مدينة الرقة وهم على ذلك، وبها بكار بن مسلم، فمضى نحو حران، ورحل إسحاق بن مسلم إلى الرها ـ وكان قد قُتل مروان بن محمد، وانتهى أمره، وغدا أبو العباس خليفةً ـ. وخرج موسى بن كعب فيمن معه من مدينة حران، ولقوا أبا جعفر. وقدم بكار على أخيه إسحاق بن مسلم، فوجّهه إلى جماعة ربيعة بـ(دارا) و(ماردين)، ورئيس ربيعة يومئذٍ رجل من الحرورية يقال له بُريكة، فصمد إليه أبو جعفر، فلقيهم فقاتلوه بها قتالاً شديداً، وقُتل بُريكة في المعركة، وانصرف بكار إلى أخيه إسحاق بالرها، فخلفه إسحاق بها، ومضى في أكثر العسكر إلى سُمَيْساط،

فخندق على عسكره، وأقبل أبو جعفر في جموعه حتى قابل بكار بالرها، وكانت بينهما وقعات.

وكتب أبو العباس إلى عبد الله بن علي في المسير بجنوده إلى إسحاق بن مسلم العقيلي بسُمَيْساط، فأقبل من الشام حتى نزل بإزاء إسحاق بسُمَيْساط وهم في ستين ألفاً من أهل الجزيرة جميعها، وبينهما الفرات، وأقبل أبو جعفر من الرها، فكاتبهم إسحاق وطلب إليهم الأمان فأجابوا إلى ذلك، وكتبوا إلى أبي العباس، فأمرهم أن يؤمنوه ومن معه، ففعلوا وكتبوا بينهم كتاباً، ووثقوا له فيه، فخرج إسحاق إلى أبي جعفر، وتم الصلح بينهما، وكان عنده من آثر أصحابه. فاستقام أهل الجزيرة وأهل الشام، وولى أبو العباس أبا جعفر الجزيرة وأرمينية وأذربيجان، فلم يزل على ذلك حتى استخلف.

وقد ذُكر أن إسحاق بن مسلم العقيلي هذا أقام بسُمَيْساط سبعة أشهرٍ، وأبو جعفر محاصره، وكان يقول: في عنقي بيعة، فأنا لا أدعها حتى أعلم أن صاحبها قد مات أو قُتل. فأرسل إليه أبو جعفر: إن مروان قد قُتل، فقال: حتى أتيقن، ثم طلب الصلح، وقال: قد علمت أن مروان قد قتل، فآمنه أبو جعفر وصار معه، وكان عظيم المنزلة عنده.

وقفة تأمّل:

إن العفو الذي أعطاه عبد الله بن علي لأهل قنّسرين بعد أن حاربوه مع أبي الورد والسفياني، وكشفوا جيشه أكثر من مرةٍ. وإن الصلح الذي منحه لحبيب بن مرّة المرّيّ بعد وقعاتٍ بينهما. وإن الأمان الذي أعطاه لأهل دمشق بعد أن حاربوا أميره عليهم أبا غانم عبد الحميد بن ربعي الطائي، وقتلوا من أصحابه مقتلةً عظيمةً، وانتهبوا ما كان عبد الله بن علي خلّف من ثَقَله. وإن العفو الذي أعطاه لأهل الجزيرة الفراتية بعد أن بيّضوا، وحاصروا أميرهم موسى بن كعب ومن معه في حران نحو شهرين، وقاتلوا ابن أخيه أبا جعفر المنصور عبد الله بن محمد، كل هذا يدلّ على أن عبد الله بن علي لم يكن حاقداً ولا سفّاكاً للدماء، ولا ظالماً، ولا مُنتقماً، بل كان للحلم أدنى وللعفو أقرب، وأنه للأمة أكثر رحمةً مما نُسب إليه مما سبق أن ذكرنا ما دوّنه المؤرّخون.

إن ما نُسب إليه لم يكن من فعله، بل ممن دخل في جيشه من أولئك الذين أسميناهم بالمتلوّنين الحاقدين، وما دام هو قائدهم فإن كل فعلٍ يقوم به جيشه يُنسب له، مع العلم أنه لا يمكنه محاسبتهم أثناء

القتال وأوقات الشدّة، خوفاً من أن ينفضّ أتباعهم عنه ويتخلخل الصف. إضافةً إلى أن هناك روايات مفتريات صاغها أولئك الذين أسلموا بأفواههم ولم تُؤمن قلوبهم، صاغوها من زورٍ ومن كذبٍ حقداً على الإسلام وأهله. فشاعت، وانتشرت، وسُجّلت، ووصلت إلى الذين كتبوا التاريخ فدوّنوها لشيوعها، وتركوا أمر التحقيق فيها للقراء، ظنّاً منهم أن القرّاء أمثالهم، ولم ينتبهوا إلى من سيليهم من الأجيال.

أصبح هذا كله عاماً ومُتداولاً، يُنقل من كتب التاريخ، ويُردّد حتى غدا كأنه الحقيقة، فيجب أن نتأمّل في هذا، وننتبه إلى ما حدث.

أبو سلمة وأبو مسلم[1]:

إن قاتل أبو سلمة وأبو مسلم مع بني العباس ضد

---

(١) أبو مسلم الخراساني: عبد الرحمن بن مسلم، ويقال: عبد الرحمن بن عثمان بن يسار الخراساني: ولد سنة مائة، وكان قصيراً، أسمر، جميلًا، حلواً، نقي البشرة، أحور العين، عريض الجبهة، حسن اللحية، طويل الشعر، طويل الظهر، خافض الصوت، فصيحاً بالعربية وبالفارسية، حلو المنطق، راويةً للشعر، عارفاً بالأمور، لم يُرَ ضاحكاً ولا مازحاً إلا في وقته، وكان لا يكاد يُقطّب في شيءٍ من أحواله. =

= يأتيه خبر الفتوحات فلا يظهر عليه أثر السرور، وتنزل به الفادحة الشديدة فلا يُرى مُكتئباً. وكان إذا غضب لم يستفزّه الغضب.

كان أبوه من أهل رستاق فريذين، من قريةٍ تسمى سنجرد، وكانت هي وغيرها ملكاً له. وكان يجلب في بعض الأوقات مواشي إلى الكوفة. ثم ضمن رستاق فريذين فغرم، فبعث إليه عامل البلد من يحضره، فهرب بجاريته وهي حبلى، فولدت له أبا مسلم، واختلف إلى الكتاب وحصّل، ثم اتصل بعيسى بن معقل جد الأمير أبو دلف العجلي، وبأخيه إدريس بن معقل، فحبسهما أمير العراق على خراجٍ انكسر، فكان أبو مسلم يختلف إليهما إلى السجن، وذلك بالكوفة في معتقل الأمير خالد بن عبد الله القسري، فقدم الكوفة جماعة من نقباء الإمام محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، والد المنصور والسفاح، فدخلوا على الأخوين يسلمون عليهما، فرأوا عندهما أبا مسلم، فأعجبهم عقله وأدبه وكلامه، ومال هو إليهم. ثم إنه عرف أمرهم ودعوتهم، أي إلى بني العباس. ثم هرب الأخوان: عيسى وإدريس من السجن، فلزم هو النقباء، وسار بصحبتهم إلى مكة، فأحضروا إلى إبراهيم بن محمد - وقد مات محمد - عشرين ألف دينار، ومائتي ألف درهم، وأهدوا إليه أبا مسلم، فأعجب به، وقال إبراهيم لهم: هذا عُضْلَة من العُضَل.

فأقام أبو مسلم يخدم إبراهيم بن محمد، ورجع النقباء إلى خراسان. فقال إبراهيم: إني قد جربت هذا الأصبهاني، وعرفت ظاهره وباطنه، فوجدته حجر الأرض. ثم قلده الأمر،=

= وندبه إلى المضي إلى خراسان، فكان من أمره ما كان. (ابن خلكان).

قام رجل إلى أبي مسلم وهو يخطب، فقال: ما هذا السواد عليك؟ فقال: حدثني أبو الزبير عن جابر بن عبد الله، (أن النبي ﷺ دخل مكة يوم الفتح، وعليه عمامة سوداء)، وهذه ثياب الهيبة، وثياب الدولة. يا غلام، اضرب عنقه.

كان أبو مسلم سفاكاً للدماء، وهو أول من سنّ للدولة لبس السواد.

وقال محمد بن جرير الطبري في تاريخه: ذكر علي بن محمد ـ يعني المدائني ـ أن حمزة بن طلحة السلمي حدّثه عن أبيه قال: كان بكير بن ماهان كاتباً لبعض عمال السند، فقدم، فاجتمعوا بالكوفة في دار، فغمز بهم، فأخذوا فحُبس بكير، وخلي عن الآخرين، وكان في الحبس أبو عاصم وعيسى بن معقل العجلي، ومعه أبو مسلم الخراساني فحدثه، فدعاهم بكير، فأجابوه إلى رأيه، فقال لعيسى العجلي: ما هذا الغلام؟ قال: مملوك. قال: تبيعه؟ قال: هو لك، قال: أحب أن تأخذ ثمنه. فأعطاه أربعمائة درهم.

ثم أخرجوا من السجن، وبعث به إلى إبراهيم بن محمد، فدفعه إبراهيم إلى موسى السراج، فسمع منه وحفظ، ثم اختلف إلى خراسان.

وقال غيره: توجّه سليمان بن كثير، ومالك بن الهيثم، ولاهز بن قريظ، وقحطبة بن شبيب من بلاد خراسان للحج في سنة أربع وعشرين ومائة، فدخلوا الكوفة، فأتوا عاصم بن يونس العجلي، وهو في الحبس فبدأهم بالدعاء إلى ولد=

= العباس، ومعه عيسى بن معقل العجلي وأخوه، حبسهما يوسف بن عمر أمير العراق فيمن حبس من عمال خالد بن عبد الله القسري، ومعهما أبو مسلم يخدمهما، فرأوا فيه العلامات. فقالوا: من أين هذا الفتى؟ قال: غلام معنا من السراجين. وقد كان أبو مسلم إذا سمع عيسى وإدريس يتكلمان في هذا الرأي بكى. فلما رأوا ذلك، دعوه إلى ما هم عليه ـ يعني من نصر آل بيت النبي ﷺ فأجاب.

قال أبو مسلم محمد بن المطلب بن فهم، من ولد أبي مسلم صاحب الدعوة: كان اسم أبي مسلم: إبراهيم بن عثمان بن يسار، من ولد بزرجمهر، وكان يكنى أبا إسحاق. ولد بأصبهان، ونشأ بالكوفة، وكان أبوه أوصى به إلى عيسى السراج فحمله إلى الكوفة وهو ابن سبع سنين. فقال له إبراهيم بن محمد بن علي لما عزم على توجيهه إلى خراسان: غيّر اسمك. فإنه لا يتمّ لنا الأمر إلا بتغيير اسمك، على ما وجدته في الكتب. فقال: قد سميت نفسي عبد الرحمن بن مسلم، ثم تكنى أبا مسلم. ومضى لشأنه، وله ذؤابة فمضى على حمار، فقال له: خذ نفقة.

قال: ثم مات عيسى السراج، ومضى أبو مسلم لشأنه، وله تسع عشرة سنةً، وزوّجه إبراهيم الإمام بابنة أبي النجم عمران الطائي، وكانت بخراسان، فبنى بها.

عن أبي عبيدة قال: حدثني رجل من خراسان، عن أبيه قال: كنت أطلب العلم، فلا آتي موضعاً إلا وجدت أبا مسلم قد سبقني إليه، فألفته، فدعاني إلى منزله ودعا بما حضر، ثم لاعبته بالشطرنج وهو يلهو بهذين البيتين: =

بني أمية، إلا أنهما لم يكونا صادقين في ولائهما لبني العباس ولا لغيرهم من المسلمين أيٍّ كان، بل يعملان ضدّ الخلفاء بصفتهم يُمثّلون المسلمين، وهذا عمل ضد الإسلام، وهو الأصل عندهما، وإن اختلفت وجهات النظر عندهما. فأبو سلمة رأى أن قاعدة بني العباس ضيقة، فقد لا تستطيع مواجهة بنيْ أمية؛ فالتكافؤ غير موجودٍ، لذا تكون الفتنة غير شاملةٍ ولا تلبث أن تنتهي بانتصار الأقوى، والعودة إلى القوة، حيث ينتبه الخلفاء إلى ما وقع من أخطاء ويحاولون تلافيها، لذا فإن أبا سلمة يرى مواجهة بني أمية بجماعةٍ ذات قاعدةٍ أكثر

= ذروني، ذروني ما قَرَرْت فإنني متى ما أُهِجْ حرباً تضيق بكم أرضي
وأبعث في سود الحديد إليكمُ كتائبَ سودٍ طالما انتظرتْ نَهْضي

وروي عن أبي مسلم أنه قال: ارتديت الصبر، وآثرت الكتمان، وحالفت الأحزان والأشجان، وسامحت المقادير والأحكام حتى أدركت بغيتي، ثم أنشد:

أدركت بالحزم والكتمان ما عجزت عنه ملوك بني مروان إذ حشدوا
مازلت أسعى بجهدي في دمارهمُ والقوم في رقدةٍ بالشام قد رقدوا
حتى ضربتهمُ بالسيف فانتبهوا من نومةٍ لم ينمها قبلهم أحد
ومن رعى غنماً في أرض مسبعةٍ ونام عنها تولّى رعيها الأسد

وبقي أبو مسلم في مكانته حتى مات أبو العباس وخلفه أخوه أبو جعفر المنصور، فخاف على الدولة من أبي مسلم فقتله سنة سبعٍ وثلاثين ومائة بـ(رومة المدائن).

اتساعاً، ويرى أن الطالبيين هم الذين يملكون هذه القاعدة، وهم الذين يمكنهم مواجهة الأمويين والانتصار عليهم، لذا يجب العمل لهم، ووضعهم في الواجهة وإنزالهم في المقدمة، وهذا ما سعى له وحاول عمله في إبقاء أبي العباس، ومن جاء معه إلى الكوفة من أهله بعيدين عن قاعدتهم، في مغامرةٍ لنقل الدعوة إلى الطالبيين.

أما أبو مسلم فيرى أن استلام الطالبيين للخلافة سيجعلها قويةً، ولن يتمكّن المتلوّنون من الوصول إلى أهدافهم، لذا فإن استلام العباسيين أفضل، إذ يمكن زحزحتهم وظهور المتلوّنين بقوةٍ تمكّنهم من تحقيق أهدافهم في ضرب المسلمين، ما دامت خلافتهم ضعيفةً والرجوع بالمنطقة إلى ما كانت عليه قبل الإسلام، أي عودة المجوسية ودولتها. ومن هنا لا يرى أبو مسلم مانعاً من القضاء على أبي سلمة خوفاً من أن يؤول الأمر إلى الطالبيين.

وقيل: إن أبا العباس قد كان تنكّر لأبي سلمة قبل ارتحاله من عسكره بالنخيلة، ثم تحوّل عنه إلى المدينة الهاشمية، فنزل قصر الإمارة بها، وهو متنكّر له، قد عُرف ذلك منه، وكتب إلى أبي مسلم يُعلمه رأيه، وما

كان همّ به من الغشّ، وما يتخوّف منه، فكتب أبو مسلم إلى أمير المؤمنين: إن كان اطلع على ذلك منه فليقتله، فقال داود بن علي لأبي العباس: لا تفعل يا أمير المؤمنين، فيحتجّ عليك بها أبو مسلم وأهل خراسان الذين معك، وحاله فيهم حاله، ولكن اكتب إلى أبي مسلم فليبعث إليه من يقتله، فكتب إلى أبي مسلم بذلك، فبعث بذلك أبو مسلم مرّار بن أنس الضبيّ، فقدم على أبي العباس في المدينة الهاشمية وأعلمه سبب قدومه، فأمر أبو العباس منادياً فنادى: إن أمير المؤمنين قد رضي عن أبي سلمة ودعاه وكساه، ثم دخل عليه بعد ذلك ليلةً، فلم يزل عنده حتى ذهب عامّة الليل، ثم خرج مُنصرفاً إلى منزله يمشي وحده، حتى دخل الطاقات، فعرض له مرّار بن أنس ومن كان معه من أعوانه فقتلوه، وأُغلقت أبواب المدينة، وقالوا: قتل الخوارج أبا سلمة، ثم أُخرج من الغد، فصلّى عليه يحيى بن محمد بن علي أخو أبي العباس، ودُفن في المدينة الهاشمية.

وقال أبو جعفر المنصور: لما ظهر أبو العباس أمير المؤمنين سمرنا ذات ليلةٍ، فذكرنا ما صنع أبو سلمة، فقال رجل منا: ما يدريكم ما صنع أبو سلمة

كان عن رأي أبي مسلم، فلم ينطق منا أحد، فقال أمير المؤمنين أبو العباس: لئن كان هذا عن رأي أبي مسلم إنا لَبِعرَض بلاءٍ، إلا أن يدفعه الله عنا. وتفرّقنا. فأرسل إليّ أبو العباس فقال: ما ترى؟ فقلت: الرأي رأيك، فقال: ليس منا أحد أخصّ بأبي مسلم منك، فاخرج إليه حتى تعلم ما رأيه، فليس يخفي عليك، فلو قد لقيته، فإن كان عن رأيه أخذنا لأنفسنا، وإن لم يكن عن رأيه طابت أنفسنا.

فخرجت على وجلٍ، فلما انتهيت إلى الريّ، إذا صاحب الري قد أتاه كتاب أبي مسلم: إنه بلغني أن عبد الله بن محمد توجّه إليك، فإذا قدم فأشخصه ساعة قدومه عليك. فلما قدمت أتاني عامل الريّ فأخبرني بكتاب أبي مسلم، وأمرني بالرحيل، فازددت وجلاً، وخرجت من الريّ وأنا حذر خائف فسرت، فلما كنت بنيسابور إذا عاملها قد أتاني بكتاب أبي مسلم: إذا قدم عليك عبد الله بن محمد فأشخصه ولا تَدَعه يُقيم، فإن أرضك أرض خوارج ولا آمن عليه، فطابت نفسي وقلت: أراه يعني بأمري. فسرت فلما كنت من مرو على فرسخين، تلقّاني أبو مسلم في الناس، فلما دنا مني أقبل يمشي إليّ، حتى قبّل يدي، فقلت: اركب،

فركب فدخل مرو، فنزلت داراً فمكثت ثلاثة أيامٍ، لا يسألني عن شيء، ثم قال لي في اليوم الرابع: ما أقدمك؟ فأخبرته، فقال: فعلها أبو سلمة، أكفيكموه، فدعا مرّار بن أنس الضبيّ، فقال: انطلق إلى الكوفة؛ فكان أبو سلمة يسمر عند أبي العباس، فقعد في طريقه، فلما خرج قتله، فقالوا: قتله الخوارج.

قال سالم: صحبت أبا جعفر من الريّ إلى خراسان، وكنت حاجبه، فكان أبو مسلم يأتيه فينزل على باب الدار، ويجلس في الدهليز، ويقول: استأذن لي، فغضب أبو جعفر عليّ، وقال: ويلك، إذا رأيته فافتح له الباب، وقل له يدخل على دابته. ففعلت، وقلت لأبي مسلم: إنه قال كذا وكذا، قال: نعم، أعلم، واستأذن لي عليه.

ولما قدم أبو جعفر على أبي مسلم سايره عبيد الله بن الحسين الأعرج وسليمان بن كثير معه، فقال سليمان بن كثير للأعرج: يا هذا، إنا كنا نرجو أن يتمّ أمركم، فإذا شئتم فادعونا إلى ما تريدون، فظنّ عبيد الله أنه دسيس من أبي مسلم، فخاف ذلك، وبلغ أبا مسلم مسايرةُ سليمان بن كثير إياه، وأتى عبيد الله أبا مسلم، فذكر له ما قال سليمان، وظنّ أنه إن لم يفعل

ذلك اغتاله فقتله، فبعث أبو مسلم إلى سليمان بن كثير، فقال له: أتحفظ قول الإمام لي: من اتهمته فاقتله؟ قال: نعم، قال: فإني قد اتهمتك، فقال: أنشدك الله، قال: لا تناشدني الله وأنت منطوٍ على غشّ الإمام، فأمر بضرب عنقه. ولم يرَ أبو مسلم أحداً ممن كان يضرب عنقه غيره، فانصرف أبو جعفر من عند أبي مسلم، فقال لأبي العباس: لست خليفةً ولا أمرك بشيء إن تركت أبا مسلم ولم تقتله، قال: وكيف؟ قال: والله ما يصنع إلا ما أراد، قال أبو العباس: اسكت فاكتمها[1].

يزيد بن عمر بن هبيرة:

بعد أن هُزم يزيد في المعركة التي دارت بينه وبين قحطبة بن شبيب والتي قُتل فيها قحطبة، ارتحل يزيد بن عمر بن هبيرة إلى واسط وتحصّن فيها.

سرّح أبو سلمة إلى واسط الحسن بن قحطبة، فخرج إليهم ابن هبيرة وعلى ميمنته ابنه داود، ومعه محمد بن نباتة، وعلى ميمنة الحسن بن قحطبة خازم بن خزيمة، فهزم ابن هبيرة ودخل وأصحابه المدينة، وطوّق جند الحسن بن قحطبة واسط.

---

(١) تاريخ الطبري.

وجاء أبو نصر مالك بن الهيثم من ناحية سجستان مدداً للحسن بن قحطبة، فبعث الحسن وفداً إلى أبي العباس يعلمه بقدوم أبي نصر عليه، وجعل على الوفد غيلان بن عبد الله الخزاعي، وكان غيلان واجداً على الحسن لأنه سرّحه إلى روح بن حاتم مدداً له، فلما قدم غيلان على أبي العباس قال له: يا أمير المؤمنين مُنْ علينا برجلٍ من أهل بيتك.

بعث أبو العباس أخاه أبا جعفر إلى واسط، فجعل أبو جعفر على شرطه غيلان، فمكث أياماً على الشرط، ثم قال لأبي جعفر: لا أقوى على الشرط، ولكني أدلك على من هو أجلد مني، قال: من هو؟ قال: جهور بن مرّار، قال: لا أقدر على عزلك، لأن أمير المؤمنين استعملك، قال: اكتب إليه فأعلمه، فكتب إليه، فكتب إليه أبو العباس: أن اعمل برأي غيلان، فولّى شرطه جهوراً. وقال أبو جعفر للحسن: أبغي رجلاً أجعله على حرسي، قال: من قد رضيته لنفسي، عثمان بن نهيك، فوُلّي الحرس.

لما قدم أبو جعفر واسطاً، تحوّل له الحسن عن حجرته. واستمر حصار يزيد بن عمر بن هبيرة في واسط أحد عشر شهراً، فلما طال ذلك عليهم طلبوا

الصلح، ولم يطلبوه حتى جاءهم خبر قتل مروان بن محمد، أتاهم به إسماعيل بن عبد الله القسريّ، وقال لهم: علام تقتلون أنفسكم وقد قُتل مروان.

وقيل: إن ابن هبيرة أراد أن يدعو إلى محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، فكتب إليه فأبطأ جوابه.

وجرت السفراء بين أبي العباس وبين ابن هبيرة حتى جعل له أماناً، وكتب به كتاباً، مكث يُشاور فيه العلماء أربعين يوماً حتى رضيه ابن هبيرة، ثم أنفذه إلى أبي جعفر، فأنفذه أبو جعفر إلى أبي العباس، فأمره بإمضائه، وكان رأي أبي جعفر الوفاء له بما أعطاه، وكان أبو العباس لا يقطع أمراً دون أبي مسلم، وكان أبو الجهم عيناً لأبي مسلم على أبي العباس، فكتب إليه بأخباره كلها، فكتب أبو مسلم إلى أبي العباس: إن الطريق السهل إذا ألقيت فيه الحجارة فسد، لا والله لا يصلح طريق فيه ابن هبيرة.

ولما تمّ الكتاب خرج ابن هبيرة إلى أبي جعفر في ألفٍ وثلاثمائةٍ من البخارية، فأراد أن يدخل إلى الحجرة على دابته، فقام إليه الحاجب سلّام بن سليم فقال: مرحباً بك أبا خالد، انزل راشداً، وقد أطاف

بالحجرة نحو من عشرة آلاف من أهل خراسان، فنزل، ودعا له بوسادةٍ ليجلس عليها، ثم دعا بالقواد فدخلوا، ثم قال سلّام: ادخل أبا خالد، فقال له: أنا ومن معي؟ فقال: إنما استأذنت لك وحدك، فقام فدخل، ووُضِعت له وسادة، فجلس عليها، فحادثه ساعةً، ثم قام وأتبعه أبو جعفر بصره حتى غاب عنه، ثم مكث يقيم عنه يوماً، ويأتيه يوماً في خمسمائة فارسٍ وثلاثمائة راجلٍ، فقال يزيد بن حاتم لأبي جعفر: أيها الأمير، إن ابن هبيرة ليأتي فيتضعضع له العسكر، وما نقص من سلطانه شيء، فإذا كان يسير في هذه الفرسان والرجالة، فما يقول عبد الجبار وجهور؟ فقال أبو جعفر لسلّام: قل لابن هبيرة يدع الجماعة ويأتينا في حاشيته [نحواً من ثلاثين]، فقال له سلّام ذلك، فتغيّر وجهه، وجاء في حاشيته نحواً من ثلاثين، فقال له سلّام: كأنك تأتي مباهياً، فقال: إن أمرتم أن نمشي إليكم مشينا، فقال: ما أردنا بك استخفافاً، ولا أمر الأمير بما أمر إلا نظراً لك، فكان بعد ذلك يأتي في ثلاثةٍ.

وألحّ أبو العباس على أبي جعفر يأمره بقتله، وهو يراجعه، حتى كتب إليه: والله لتقتلنّه أو لأرسلن إليه من يخرجه من حجرتك، ثم يتولّى قتله، فأزمع على قتله،

فبعث خازم بن خزيمة والهيثم بن شعبة بن ظهير وأمرهما بختم بيوت الأموال، ثم بعث إلى وجوه من معه من القيسية والمضرية، فأقبلوا فنزعت سيوفهم، وكُبّلوا.

وانطلق خازم بن خزيمة، والهيثم بن شعبة، والأغلب بن سالم في نحوٍ من مائةٍ، فأرسلوا إلى ابن هبيرة: إنا نريد حمل المال، فقال ابن هبيرة لحاجبه: يا أبا عثمان انطلق فدلّهم عليه، فأقاموا عند كل بيتٍ نفراً، ثم جعلوا ينظرون في نواحي الدار، ومع ابن هبيرة ابنه داود، وكاتبه عمرو بن أيوب، وحاجبه، وعدة من مواليه، وصبي له صغير في حجره، فجعل يُنكر نظرهم فقال: أقسم بالله إن في وجوه القوم لشرّاً، فأقبلوا نحوه، فقام حاجبه في وجوههم، فقال: ما وراءكم؟ فضربه الهيثم بن شعبة على حبل عاتقه فصرعه، وقاتل ابنه داود فقُتل، وقُتل مواليه، ونَحّى الصبيّ من حجره، وقال: دونكم هذا الصبي، وخرّ ساجداً، فقُتل وهو ساجد.

وبلغ أبا جعفر الخبر فنادى بالأمان للناس إلا للحكم بن عبد الملك بن بشر، وخالد بن سلمة المخزوميّ، وعمر بن ذر، فاستأمن زياد بن عبيد الله

لابن ذر فآمنه أبو العباس، وهرب الحكم، وآمن أبو جعفر خالداً فقتله أبو العباس، ولم يُجِزْ أمان أبي جعفر.

وقيل: إن أبا العباس لما وجّه أبا جعفر إلى واسط لقتال ابن هبيرة، كتب إلى الحسن بن قحطبة: إن العسكر عسكرك، والقوّاد قوّادك، ولكن أحببت أن يكون أخي حاضراً، فاسمع له وأطع، وأحسن مؤازرته. وكتب إلى أبي نصر مالك بن الهيثم بمثل ذلك، فكان الحسن المدبّر لذلك العسكر بأمر المنصور.

المقاطعات العباسية:

كان مروان بن محمد لا يزال الخليفة الشرعي سنة اثنتين وثلاثين ومائة كاملةً حتى قُتل قبل انتهاء السنة بثلاثة أيامٍ، ولكن لم يكن يملك شيئاً حيث كان مطارداً، والسلطة بيد رجال الدعوة العباسية.

١ ـ جزيرة العرب:

عزل أبو العباس عمه داود بن علي عن الكوفة وولّاه مكة، والمدينة، واليمن، واليمامة، وكان والي المدينة قبل ذلك يوسف بن عروة من قِبَل مروان بن محمد، وقد ولّاه ذلك بعد عزل أخيه الوليد بن عروة.

٢ ـ الشام:

كان عبد الله بن علي عم أبي العباس على كور الشام جميعها.

٣ ـ الجزيرة الفراتية وأرمينية وأذربيجان:

ولّى أبو العباس على هذه المناطق أخاه أبا جعفر المنصور عبد الله بن محمد بن علي.

٤ ـ مصر:

بعد أن رجع صالح بن علي من مصر إلى الشام، استخلف مكانه أبا عون عبد الملك بن يزيد الأزدي.

٥ ـ الكوفة:

ولّى أبو العباس على الكوفة مكان عمه داود بن علي ابن أخيه عيسى بن موسى بن محمد، فاستقضى عيسى على الكوفة ابن أبي ليلى[١].

---

(١) ابن أبي ليلى: محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى: العلامة، الإمام، مفتي الكوفة وقاضيها، أبو عبد الرحمن الأنصاري الكوفي. ولد سنة نيف وسبعين، ومات أبوه وهو صبيّ، ولم يأخذ عن أبيه شيئاً. حدث عنه شعبة، وسفيان بن عيينة، والثوري، وقيس بن الربيع. كان سيئ الحفظ، وفقهه أحسن من حديثه، وكان نظير أبي حنيفة، ولا يُتّهم، وتوفي سنة ثمان وأربعين ومائة.

٦ ـ البصرة:

كانت بيد سلْم بن قتيبة بن مسلم من قبل يزيد بن عمر بن هبيرة، فجرى قتال بينه وبين سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلب، فانتصر سلْم بن قتيبة، وبقي بالبصرة حتى بلغه مقتل يزيد بن عمر بن هبيرة، فارتحل عنها، فتولّى أمرها محمد بن جعفر عدة أيامٍ حتى قدم البصرة أبو مالك عبد الله بن أسيد الخزاعي من قِبَل أبي مسلم، فوليها خمسة أيامٍ، فلما ظهر أبو العباس ولّاها سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلب.

٧ ـ الموصل:

وكان يحيى بن محمد أخو أبي العباس والي الموصل.

٨ ـ الأهواز:

أرسل حميد بن قحطبة بسام بن إبراهيم بن بسام إلى الأهواز، وبها عبد الواحد بن عمر بن هبيرة، فلما أتى بسام خرج عبد الواحد إلى البصرة، وكتب إلى سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلب بعهده على الأهواز.

٩ ـ خراسان:

وكان أبو مسلم في منطقة خراسان والجبال،

وليس فوقه سلطة وهو المستبدّ بما تحت يده، بل يمتدّ نفوذه إلى أغلب المناطق.

١٠ ـ فارس:

وجّه أبو مسلم إلى فارس محمد بن الأشعث، وأمره أن يأخذ عمال أبي سلمة فيضرب أعناقهم، ففعل ذلك.

وجّه أبو العباس عمه عيسى بن علي على فارس، وعليها محمد بن الأشعث، فهمّ ابن الأشعث بعيسى بن عليّ، فقيل له: إن هذا لا يسوغ لك، فقال: بلى، أمرني أبو مسلم ألا يقدم عليّ أحد يدّعي الولاية من غيره إلا ضربت عنقه، ثم ارتدع عن ذلك لما تخوّف من عاقبته، فاستحلف عيسى بالأيمان المحرجة ألا يعلو منبراً ولا يتقلّد سيفاً إلا في جهادٍ، فلم يلِ عيسى بعد ذلك عملاً، ولا تقلّد سيفاً إلا في غزو. ثم وجّه أبو العباس بعد ذلك عمه الآخر إسماعيل بن عليّ على فارس.

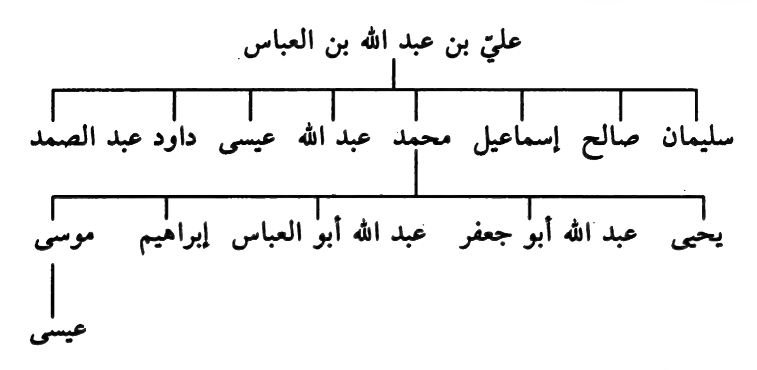
وكان على ديوان الخراج خالد بن برمك[١].

فكان أعمام أبي العباس وإخوته عماد الدولة.

---

(١) تاريخ الطبري.

وفي خراسان أبو مسلم وتمتدّ أصابعه المغموسة بالدماء إلى كل جهةٍ.



وقفة حُكم:

كان أبو مسلم الخراساني العقل المنظّم للعمل ضد الخلافة الإسلامية تحت عنوان الدعوة لبني العباس، كما أنه المُخطّط لضرب الفئات بعضها مع بعضٍ، وكانت وسيلته الاحتيال، وطريقته الاغتيال، فلما أخذت تباشير نجاح الدعوة تبدو في الأفق، وظهر أبو العباس في الكوفة زادت مكانة أبي مسلم، إذ هو رجل الدعوة الرئيسيّ وعنصرها الأساسي، واشتدّ ساعده فكانت مخالفته جريمة يُقتل صاحبها، وعدم طاعته خروج يُسفك دم فاعله، وكان سوطه السيف، وسجنه القبر، ووسائله وأدواته أولئك المتلوّنون الذين أسلموا بأفواههم ولم تُؤمن قلوبهم ويحقدون على

الإسلام، ويُخفون عداءهم لأهله، هذا ما كان في خراسان.

أما في الأقاليم الأخرى التي يقلّ نفوذه فيها لبعدها عنه، أو لنفوذ أبي العباس وحكم بعض أهله لها، فإن لأبي مسلم فيها عيوناً كثيرين، فإذا ما نال أحد منه أو تكلم بحقه أقلّ كلامٍ بلغ خبره لأبي مسلم، فيرسل إليه من أعوانه المتلوّنين من يخفيه عن سطح الأرض، لذا كان الناس يهابونه أينما كانوا، حتى يخافه بنو العباس أنفسهم، ويعلمون أنه لا مكانة لهم ما دام هو في مركزه، ويضمرون فكرة الخلاص منه.

لقد قَتَل أبو مسلم وأعوانه الكثير من كرام الناس وأعيانهم، وملأ سجونه بآخرين منهم، وعذّب ما شاء له هواه أن يُعذّب، ونُسب ذلك كله إلى العباسيين، فتحمّلوا إثمه، فهو رجل دعوتهم والناطق باسمهم، وهم أئمته وقادته يأخذون وزره حيث يُنسب كل عملٍ إلى القائد، ودوّن المؤرخون كل ما قام به أبو مسلم إلى بني العباس. ورغم أنهم قد تخلّصوا منه عندما سنحت لهم الفرصة، وقتلوه عندما واتتهم المناسبة، وجاءتهم الساعة المنتظرة، وحان أجله في أيام أبي جعفر المنصور سنة سبعٍ وثلاثين ومائة.

وبقيت أعمال أبي مسلمٍ وتصرّفاته مُسجّلةً على العباسيين يدوّنها المؤرخون ويقرؤها الطلاب، ويردّدها المدرسون و. . .

﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾[1].

وقال رسول الله ﷺ: «ألا كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته. . .»[2].

---

(١) سورة الشعراء: الآية ٢٢٧.

(٢) متفق عليه.

الفصل الثالث

خلافة أبي العبّاس

تبدأ خلافة أبي العباس من مقتل مروان بن محمد الخليفة الشرعي لثلاث ليالٍ بقين من ذي الحجة سنة اثنتين وثلاثين ومائة. أما الأشهر الثمانية والنصف التي سبقت ذلك، وهي المدة التي بين بيعة أبي العباس من قِبَل أعوانه في الثاني عشر من شهر ربيع الثاني سنة اثنتين وثلاثين ومائة، وبين مقتل مروان، فإن هذه المدة تعدّ من خلافة مروان بن محمد، إذ أخذ البيعة شرعياً، ولا يصحّ قيام خليفتين في وقتٍ واحدٍ، وإن مبايعة أعوان أبي العباس له هي غير صحيحةٍ. وإن الأحداث التي وقعت في تلك المدة قد ذكرت فيما سبق.

خلافة أبي العباس:

دامت خلافة أبي العباس أربع سنوات إلا أربعة عشر يوماً، من مقتل مروان بن محمد في سبعة وعشرين

من ذي الحجة سنة اثنتين وثلاثين ومائة، إلى وفاة أبي العباس في يوم الأحد لثلاث عشرة خلت من شهر ذي الحجة سنة ستٍ وثلاثين ومائة. ويلاحظ في مدة هذه الخلافة أنه لم يخرج المسلمون إلا قليلاً للجهاد في أرجاء الخلافة العباسية، وأن الأحداث التي وقعت إنما كانت داخليةً من تغيير الولاة في الأقاليم، وقيام بعض الحركات المحلية التي لا تتجاوز الإقليم التي تقع فيه الحركة، لذا سنتكلم عن الأحداث من خلال الولايات.

الولايات:

١ ـ جزيرة العرب:

وهي عدة ولايات، قد يضمّ الخليفة عدداً منها لوالٍ، ثم يعود بعد مدةٍ فيجعل ما ضمّه عدة ولايات.

كان أبو العباس قد عزل عمه داود بن علي عن الكوفة وسوادها سنة اثنتين وثلاثين ومائة، وولّاه مكة، والمدينة، واليمن، واليمامة، وولى موضعه على الكوفة وسوادها ابن أخيه عيسى بن موسى بن محمد. فأخذ داود بن علي من كان من بني أمية في مكة والمدينة فقتلهم. ومات داود بن علي بالمدينة في شهر ربيعِ الأول سنة ثلاثٍ وثلاثين ومائة، ولم تزد ولايته على ثلاثة أشهرٍ. واستخلف على عمله حين حضرته الوفاة ابنه موسى بن داود.

ولما بلغت أبا العباس وفاة عمه وجّه على مكة، والمدينة، والطائف، واليمامة خاله زياد بن عبيد الله بن عبد الله بن عبد المدان الحارثي. ووجّه أيضاً على اليمن خاله الآخر محمد بن يزيد بن عبد الله بن عبد المدان الحارثي، فقدم اليمن في شهر جمادى الأولى.

بعث زياد بن عبيد الله من المدينة إبراهيم بن حسّان السُّلميّ - وهو أبو حماد الأبرص - إلى المثنى بن يزيد بن عمر بن هبيرة وهو باليمامة، فقتله وقتل أصحابه.

وحج بالناس سنة ثلاثٍ وثلاثين ومائة زياد بن عبيد الله الحارثي.

وتوفي محمد بن يزيد بن عبد الله الحارثي والي اليمن سنة أربعٍ وثلاثين ومائة، فكتب أبو العباس إلى علي بن الربيع بن عبيد الله الحارثي، وهو عامل لعمه زياد بن عبيد الله على مكة بولايته على اليمن فسار إليها، وتولّى أمر مكة العباس بن عبد الله بن معبد بن عباس.

نشط الخوارج الصفرية في منطقة الخليج العربي

وخاصةً في جزيرة ابن كاوان وأميرهم شيبان بن عبد العزيز اليشكري[١]، كما نشطت الخوارج الأباضية في عُمان.

فلما نقم أبو العباس على خازم بن خزيمة لما فعله بأخواله من بني عبد المدانٰ، وأراد قتله، دخل على أبي العباس موسى بن كعب وأبو الجهم بن عطية، فقالا له: بلغنا يا أمير المؤمنين ما كان من تحميل هؤلاء القوم إياك على خازم، وإشارتهم عليك بقتله، وما هممت به من ذلك، وإنا نعيذك بالله من ذلك، فإن له طاعةً وسابقةً، وهو يحتمل له ما صنع، فإن شيعتكم من أهل خراسان قد آثروك على الأقارب من الأولاد والآباء والإخوان، وقتلوا من خالفكم، وأنت أحق من تعمد إساءة مسيئهم، فإن كنت لا بد مُجمعاً على قتله فلا تتولَّ ذلك بنفسك، وعرّضه من المباعث إن قُتل فيه كنت قد بلغت الذي أردت، وإن ظفر كان ظفره لك.

---

(١) شيبان بن عبد العزيز اليشكري الحروري: من أمراء الخوارج وقادتهم وشجعانهم، ولّوه إمارتهم سنة ثمانٍ وعشرين ومائة، وقام يقاتل مروان بن محمد في جهات (كفرتوثا) من أعمال ماردين، ومعه أربعون ألفاً، ثم انصرف إلى الموصل، وانضم إليه أهلها، وتبعه مروان، فتراجع الخوارج إلى البصرة بعد معارك. ثم قُتل شيبان في عُمان سنة أربع وثلاثين ومائة.

وأشاروا عليه بتوجيهه إلى من بعُمان من الخوارج، إلى الجلندي وأصحابه، وإلى الخوارج الذين بجزيرة ابن كاوان مع شيبان بن عبد العزيز اليشكري، فأمر أبو العباس بتوجيهه مع سبعمائة رجلٍ، وكتب إلى سليمان بن علي وهو على البصرة بحملهم في السفن إلى جزيرة ابن كاوان وعُمان فشخص.

سار خازم بن خزيمة في السبعمائة الذين ضمّهم إليه أبو العباس، وانتخب من أهل بيته وبني عمه ومواليه ورجال من أهل مروالروذ، قد عرفهم ووثق بهم، وانطلق إلى البصرة، فحملهم سليمان بن علي، وانضمّ إلى خازم بالبصرة عدد من بني تميم، فساروا حتى أرسوا بجزيرة ابن كاوان، فوجّه خازم إلى الخوارج نضلة بن نعيم النهشلي في خمسمائة رجلٍ من أصحابه، فالتقوا مع شيبان وجماعته فاقتتلوا قتالاً شديداً، فركب شيبان وأصحابه السفن، فقطعوا إلى عُمان ـ وهم صفرية ـ فلما صاروا إلى عُمان نصب لهم الجُلَنْدي[1] وأصحابه

---

(١) الجُلَنْدي بن مسعود بن جيفر بن جلندي الأزدي: أمير عُمان وعظيم الأزد فيها، كان أباضياً، من الشجعان، وهو الذي قتل شيبان من الخوارج الصفرية.

كانت عُمان أشبه بالولاية المستقلة في أيام بني أمية، فلما آل=

ـ وهم أباضية ـ فاقتتلوا قتالاً شديداً، فقُتل شيبان ومن معه، ثم سار خازم في البحر بمن معه، حتى أرسوا على ساحل عُمان، فخرجوا إلى صحراء، فلقيهم الجلندي وأصحابه، فاقتتلوا قتالاً شديداً، وكثر القتل يومئذٍ في أصحاب خازم، وهم يومئذٍ على ضفة البحر، وقُتل فيمن قُتل أخ لخازم لأمه يقال له إسماعيل، في تسعين رجلاً من أهل مروالروذ، ثم تلاقوا في اليوم الثاني، فاقتتلوا قتالاً شديداً، وعلى ميمنته رجل من أهل مروالروذ، يقال له حميد الورتكانيّ، وعلى ميسرته رجل من أهل مروالروذ يقال له مسلم الأرغدي، وعلى طلائعه نضلة بن نعيم النهشلي، فقتل من الخوارج يومئذٍ تسعمائة رجلٍ، وأحرقوا منهم نحواً من تسعين رجلاً، ثم التقوا بعد سبعة أيامٍ من مقدم خازم على رأيٍ أشار به عليه رجل من أهل الصُّغْد، وقع بتلك البلاد، فأشار عليه أن يأمر أصحابه فيجعلوا على أطراف أسنتهم المُشاقة[1] ويرووها بالنفط، ويُشعلوا فيها النيران، ثم

= الأمر إلى العباسيين أرسل أبو العباس إلى عُمان خازم بن خزيمة في جيشٍ لإخضاعها، فقاتله الجلندي فقُتل، وقُتل معه حوالي عشرة آلاف من أصحابه، وذلك سنة أربعٍ وثلاثين ومائة.

(١) المُشاقة: قطع من القطن والكتان والشعر.

يمشوا بها حتى يضرموها في بيوت أصحاب الجلندي، وكانت من خشبٍ وخِلاف، فلما فعل ذلك وأضرمت بيوتهم بالنيران وشُغلوا بها وبمن فيها من أولادهم وأهاليهم شدّ عليهم خازم وأصحابه، فوضعوا فيهم السيوف وهم غير ممتنعين منهم، وقُتل الجلندي فيمن قُتل، وبلغ عدّة من قُتل عشرة آلافٍ، وبعث خازم بالأخبار إلى البصرة، فأرسلت إلى أبي العباس، وأقام خازم بعد ذلك أشهراً، حتى أتاه كتاب أبي العباس بإقفاله فقفلوا[1].

وحج بالناس سنة أربع وثلاثين ومائة عيسى بن موسى بن محمد، وهو والي الكوفة، وابن أخي أبي العباس، أما في السنة التي تلتها فقد حجّ بالناس عمّ أبي العباس والي البصرة سليمان بن علي، وحجّ في سنة ستٍ وثلاثين ومائة أخوه أبو جعفر المنصور، ولم ينقض الموسم حتى كان أبو العباس قد توفي في آخر أيام التشريق.

٢ ـ الشام:

كان عبد الله بن علي بن محمد عمّ أبي العباس

---

(١) تاريخ الطبري.

أمير الشام: دمشق، وحمص، وقنسرين، والأردن. وكان على فلسطين والبلقاء صالح بن علي عم أبي العباس أيضاً.

وكان على الجزيرة عبد الله بن محمد أبو جعفر المنصور، وبقي عليها حتى استخلف.

٣ ـ العراق:

كان على الكوفة وأرضها عيسى بن موسى بن محمد، وبقي على عمله مدة خلافة أبي العباس.

وكان على البصرة وأعمالها، وكور دجلة، والبحرين، وعُمان، وعلى الأهواز سليمان بن عليّ، وبقي على عمله مدة خلافة أبي العباس.

وتولّى أمر الموصل إسماعيل بن علي بعد عزل يحيى بن محمد، واستمر إسماعيل على عمله مدة خلافة أبي العباس.

٤ ـ أرمينية:

تولّى أمر أرمينية سنة اثنتين وثلاثين ومائة عبد الله بن محمد أبو جعفر المنصور مع أذربيجان والجزيرة، وفي سنة ثلاثٍ وثلاثين ومائة أوكل أمر أرمينية إلى صالح بن صبيح، ثم خلفه يزيد بن أسيد، وبقي في عمله حتى سنة ستٍ وثلاثين ومائة.

٥ ـ أذربيجان:

ولّى أبو جعفر المنصور سنة ثلاثٍ وثلاثين ومائة على أذربيجان مجاشع بن يزيد، وخلفه بعد عدة أشهرٍ محمد بن صول واستمر في عمله مدة خلافة أبي العباس.

٦ ـ مصر:

بعد مقتل مروان بن محمد ورجوع صالح بن علي إلى الشام استخلف على مصر أبا عون عبد الملك بن يزيد الأزدي، وكتب أبو العباس إلى أبي عون بإقراره والياً على مصر، واستمر على عمله حتى سنة ستٍ وثلاثين ومائة حيث رجع صالح بن علي والياً عليها.

٧ ـ إفريقية:

كان عبد الرحمن بن حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع الفهري يقاتل الخوارج في إفريقية، وقد تمكّن من هزيمتهم.

وصل إلى إفريقية عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك متخفياً فارًّا من وجه العباسيين عن طريق مصر وبرقة، واختفى بتونس مدةً، ثم استأنف سيره نحو المغرب الأقصى، فوصل إلى قرب مدينة طنجة، حيث نزل هناك عند أخواله من قبيلة (نَفْزَة)،

الولاية		١٣٣هـ	١٣٤هـ	١٣٥هـ	١٣٦هـ
جزيرة العرب	مكة	داود بن علي ـ زياد بن عبيد الله	زياد بن عبيد الله	زياد بن عبيد الله	زياد بن عبيد الله
	المدينة	داود بن علي ـ زياد بن عبيد الله	زياد بن عبيد الله	زياد بن عبيد الله	زياد بن عبيد الله
	الطائف	داود بن علي ـ زياد بن عبيد الله	زياد بن عبيد الله	زياد بن عبيد الله	زياد بن عبيد الله
	اليمامة	داود بن علي ـ زياد بن عبيد الله	زياد بن عبيد الله	زياد بن عبيد الله	زياد بن عبيد الله
	البحرين وعمان	سليمان بن علي	سليمان بن علي	سليمان بن علي	سليمان بن علي
	اليمن	داود بن علي ـ محمد بن يزيد	علي بن الربيع	علي بن الربيع	علي بن الربيع
الشام	دمشق قنسرين	عبد الله بن علي	عبد الله بن علي	عبد الله بن علي	عبد الله بن علي
	فلسطين البلقاء	صالح بن علي	صالح بن علي	صالح بن علي	صالح بن علي
	الجزيرة	عبد الله بن محمد	عبد الله بن محمد	عبد الله بن محمد	عبد الله بن محمد
العراق	الكوفة	عيسى بن موسى	عيسى بن موسى	عيسى بن موسى	عيسى بن موسى
	البصرة	سليمان بن علي	سليمان بن علي	سليمان بن علي	سليمان بن علي
	الموصل	يحيى بن محمد	إسماعيل بن علي	إسماعيل بن علي	إسماعيل بن علي
أرمينية		عبد الله بن محمد	صالح بن صبيح	يزيد بن أسيد	يزيد بن أسيد

الولاية		١٣٣هـ	١٣٤هـ	١٣٥هـ	١٣٦هـ
أذربيجان		عبد الله بن محمد	مجاشع بن يزيد	محمد بن صول	محمد بن صول
مصر		عبد الملك بن يزيد	عبد الملك بن يزيد	عبد الملك بن يزيد	صالح بن علي
إفريقية		عبد الرحمن بن حبيب	عبدالرحمن بن حبيب	عبدالرحمن بن حبيب	عبد الرحمن بن حبيب
الأندلس		يوسف بن عبد الرحمن	يوسف بن عبدالرحمن	يوسف بن عبدالرحمن	يوسف بن عبد الرحمن
فارس		محمد بن الأشعث	محمد بن الأشعث	محمد بن الأشعث	محمد بن الأشعث
السند		منصور بن جمهور	منصور بن جمهور	موسى بن كعب	موسى بن كعب
خراسان		أبو مسلم الخراساني	أبو مسلم الخراساني	أبو مسلم الخراساني	أبو مسلم الخراساني

ويلاحظ أن أكثر الولاة هم أقرباء أبي العباس:

إخوته: عبد الله بن محمد ـ يحيى بن محمد.

أعمامه: عبد الله بن علي ـ صالح بن علي، إسماعيل بن علي، داود بن علي، سليمان بن علي.

أبناء عمومته: عيسى بن موسى.

أخواله: زياد بن عبيد الله ـ محمد بن يزيد، الربيع بن علي.

وفي سنة ستٍّ وثلاثين ومائة بدأ عبد الرحمن يُعدّ العدّة لدخول الأندلس. فأرسل مولاه بدراً وهو من أصلٍ روميٍّ إلى الأندلس بعد أن علم أن له بعض المؤيدين.

٨ ـ الأندلس:

كان والي الأندلس يوسف بن عبد الرحمن بن حبيب الفهري منذ سنة تسعٍ وعشرين ومائة، وكان إلى جانبه صاحب نفوذٍ هو الصميل بن حاتم زعيم المضرية.

٩ ـ فارس:

ولي أمر إقليم فارس محمد بن الأشعث.

١٠ ـ السند:

كان والي السند منصور بن جمهور فوجّه إليه أبو العباس سنة أربعٍ وثلاثين ومائة موسى بن كعب لقتاله، فسار موسى بن كعب واستخلف مكانه على شرطة أبي العباس المسيّب بن زهير، ووصل موسى إلى السند ولقي منصور بن جمهور في اثني عشر ألفاً، فهزمه ومن معه، وهرب منصور فمات عطشاً في الرمال.

وبلغ خليفة منصور وهو في مدينة المنصورة هزيمة منصور، فرحل بعيال منصور وثَقَله، وخرج بهم في عدة من ثقاته والتحق ببلاد الترك.

١١ ـ خراسان:

كان والي خراسان والجبال أبو مسلم الخراساني، بل هو سيّد الموقف لا ينافسه أحد، ولا يخطر على البال أن يستبدل لرسوخ قدمه وارتباط سكان المنطقة به، إذ هو رجل الدعوة وعلى أكتافه وبتخطيطه قامت دولة بني العباس.

وكان أبو مسلم دموياً، فإذا خالفه أحد أرسل له من يقتله، حتى هابه الناس فخنعوا، رغم موافقة أتباعه من أهل خراسان له بالهدف الذي يرمي إليه.

ولكن الطاغية لا بدّ من أن ينفر منه أصحابه، وربما خرجوا عليه إذ يخشون أن ينالهم طغيانه، وهم أدرى الناس به، وقد ذهب على يديه آخرون. وإذا ارتفعت مكانة أحدهم توقّع قرب مصيره، لذا لم يجد بُدّاً من مخالفته والخروج عليه.

خروج شُرَيْك:

وفي سنة ثلاثٍ وثلاثين خرج ببخارى على أبي مسلم ونقم عليه شُرَيْك بن شيخ المهري، وقال: ما على هذا اتبعنا آل محمد، على أن نسفك الدماء، ونعمل بغير الحق. وتبعه على رأيه أكثر من ثلاثين ألفاً،

فوجّه إليه أبو مسلم زياد بن صالح الخزاعي فقاتله فقتله.

خروج بسام بن إبراهيم:

وفي سنة أربعٍ وثلاثين ومائة خالف بسام بن إبراهيم بن بسام، وخلع، وكان من فرسان أهل خراسان، وشخص من عسكر أمير المؤمنين أبي العباس مع جماعة ممن شايعه على ذلك من رأيه، مستسرّين بخروجهم، ففحص عن أمرهم وإلى أين صاروا، حتى وقف على مكانهم بالمدائن فوجّه إليهم أبو العباس خازم بن خزيمة، فلما لقي بساماً ناجزه القتال، فانهزم بسام وأصحابه، وقُتل أكثرهم، واستبيح عسكره ومضى خازم وأصحابه في طلبهم في أرض (جوخي)[1] إلى أن بلغ (ماه)[2]، وقتل كل من لحقه منهزماً، أو ناصبه القتال، ثم انصرف من وجهه ذلك، فمرّ بـ(ذات المطامير)[3] ـ أو بقريةٍ شبيهةٍ بها ـ وبها من بني

(١) جوخي: اسم نهر عليه كورة واسعة في سواد بغداد بالجانب الشرقي منه.

(٢) ماه: مركز المنطقة.

(٣) ذات المطامير: اسم قرية بحلوان العراق.

الحارث بن كعب من بني عبد المدان، وهم أخوال أبي العباس ذَنَبة فمرّ بهم وهم في مجلسٍ لهم، وكانوا خمسةً وثلاثين رجلاً منهم، ومن غيرهم ثمانية عشر رجلاً، ومن مواليهم سبعة عشر رجلاً، فلم يُسلّم عليهم، فلما جاز شتموه، وكان في قلبه عليهم ما كان لما بلغه عنهم من حال المغيرة بن الفزع، وإنه لجأ إليهم، وكان من أصحاب بسام بن إبراهيم، فكرّ راجعاً، فسألهم عما بلغه من نزول المغيرة بهم، فقالوا: مرّ رجل بنا مجتازاً لا نعرفه فأقام في قريتنا ليلةً ثم خرج عنها، فقال لهم: أنتم أخوال أمير المؤمنين ويأتيكم عدوّه، فيأمن في قريتكم، فهلا اجتمعتم فأخذتموه! فأغلظوا له الجواب، فأمر بهم فضُربت أعناقهم جميعاً، وهُدمت دورهم، وانتُهبت أموالهم، ثم انصرف إلى أبي العباس، وبلغ اليمانية ما كان من فعل خازم، فأعظموا ذلك، واجتمعت كلمتهم، فدخل زياد بن عبيد الله الحارثي على أبي العباس مع عبد الله بن الربيع الحارثي، وعثمان بن نهيك، وعبد الجبار بن عبد الرحمن، وهو يومئذٍ على شرطة أبي العباس، فقالوا: يا أمير المؤمنين، إن خازماً اجترأ عليك بأمرٍ لم يكن أحد من أقرب ولد أبيك ليجترئ عليك به، من استخفافه بحقك، وقتل أخوالك الذين قطعوا البلاد،

وأتوك معتزّين بك، طالبين معروفك، حتى إذا صاروا إلى دارك وجوارك، وثب عليهم خازم فضرب أعناقهم، وهدم دورهم، وأنهب أموالهم، وأخرب ضياعهم، بلا حدث أحدثوه. فهمّ بقتل خازم، فبلغ ذلك موسى بن كعب وأبا الجهم بن عطية، فدخلا على أبي العباس، وأقعناه بالعدول عن قتله، وإرساله إلى العدوّ، فإن قُتل كان ما يبغي أمير المؤمنين، وإن ظفر كان ظفره لأمير المؤمنين، فبعثه لقتال الخوارج ـ كما سبق ـ فانتصر عليهم، وظفر بهم.

خروج زياد بن صالح:

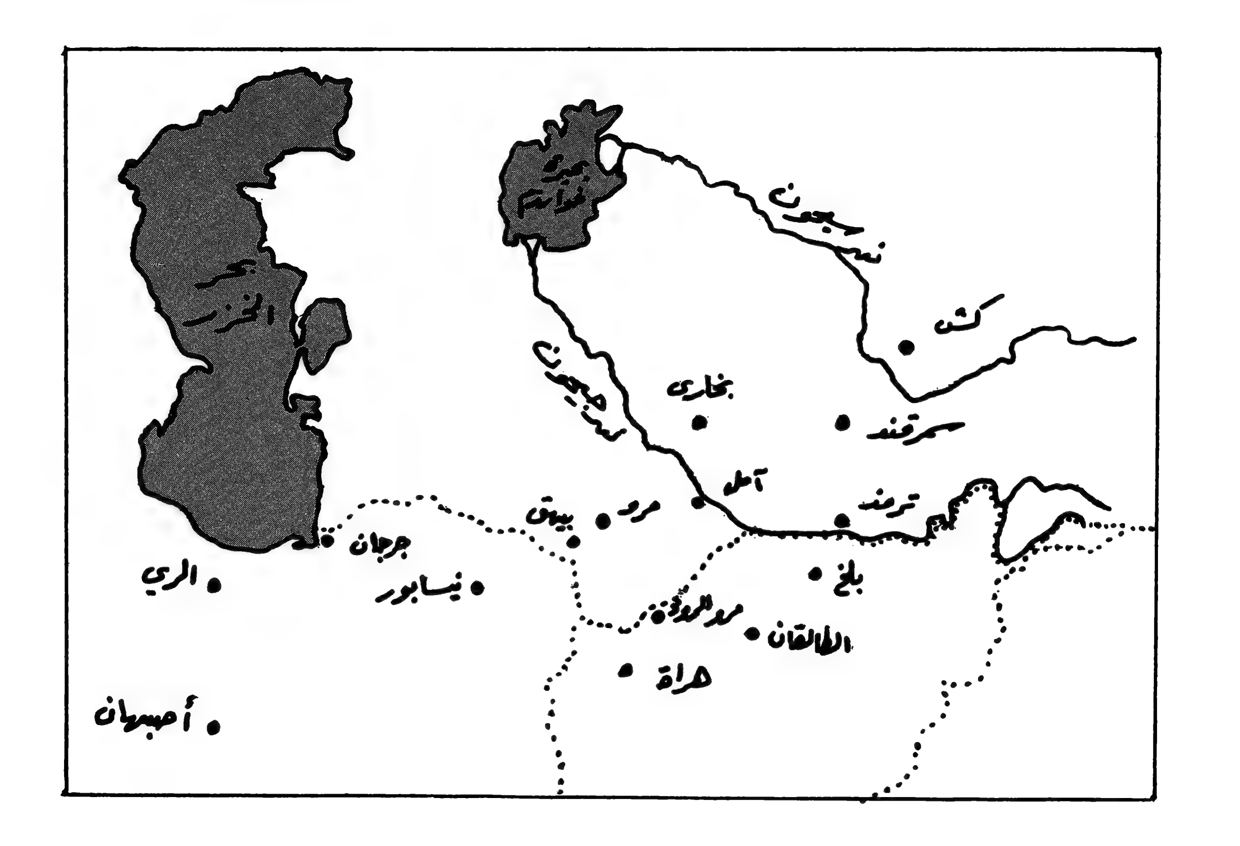
خرج زياد بن صالح سنة خمسٍ وثلاثين ومائة وراء نهر بلْخ، فشخص أبو مسلم من مرو مستعداً للقائه، وبعث أبو داود خالد بن إبراهيم إلى الترمذ نصر بن راشد، وأمره أن ينزل مدينتها، مخافة أن يبعث زياد بن صالح إلى الحصن والسفن فيأخذها، ففعل ذلك نصر، وأقام بها أياماً، فخرج عليه ناس من الراوندية من أهل الطالقان مع رجلٍ يكنى أبا إسحاق، فقتلوا نصراً، فلما بلغ ذلك أبا داود بعث عيسى بن ماهان في تتبع قتلة نصرٍ، فتتبعهم فقتلهم، فمضى أبو مسلم مسرعاً، حتى انتهى إلى آمُل، ومعه سباع بن النعمان

الأزدي، وهو الذي كان قدم بعهد زياد بن صالح من قبل أبي العباس، وأمره إن رأى فرصةً أن يثب على أبي مسلم فيقتله، فأُخْبِر أبو مسلم بذلك، فدفع سباع بن النعمان إلى الحسن بن جنيد عامله على آمُل، وأمره بحبسه عنده، وعبر أبو مسلم إلى بخارى، فلما نزلها أتاه أبو شاكر وأبو سعد الشرويّ في قوادٍ قد خلعوا زياداً، فسألهم أبو مسلم عن أمر زيادٍ ومن أفسده، قالوا: سباع بن النعمان، فكتب إلى عامله على آمُل أن يضرب سباعاً مائة سوطٍ، ثم يضرب عنقه ففعل.

ولما لحق قواد زياد بأبي مسلم لجأ زياد إلى دهقان بارْكَث، فوثب عليه الدهقان، فضرب عنقه، وجاء برأسه إلى أبي مسلم. وأبطأ أبو داود خالد بن إبراهيم على أبي مسلم لحال الراوندية الذين كانوا خرجوا، فكتب إليه أبو مسلم: فليفرخ روعك، ويأمن سربك، فقد قتل الله زياداً، فاقدم، فقدم أبو داود مدينة (كش)، وبعث عيسى بن ماهان إلى بسام، وبعث ابن النجاح إلى الأصبهبذ إلى (شاوغر) فحاصر الحصن، فأما أهل (شاوغر) فسألوا الصلح فأُجيبوا إلى ذلك.

وأما بسام فلم يصل عيسى بن ماهان إلى شيءٍ منه، حتى ظهر أبو مسلم بستة عشر كتاباً وجدها من

عيسى بن ماهان إلى كامل بن مظفّر صاحب أبي مسلم، يعيب فيها أبا داود، وينسبه فيها إلى العصبية وإيثاره العرب وقومه على غيرهم من أهل هذه الدعوة، وأن في عسكره ستةً وثلاثين سُرادقاً للمستأمنة، فبعث بها أبو مسلم إلى أبي داود، وكتب إليه: إن هذه كتب العلج الذي صيّرته عدل نفسك، فشأنك به. فكتب أبو داود إلى عيسى بن ماهان يأمره بالانصراف إليه عن بسام. فلما قدم عليه حبسه ودفعه إلى عمر النغم، وكان في يده محبوساً، ثم دعا به بعد يومين أو ثلاثة فذكّره صنيعته به وإيثاره إياه على ولده. فأقرّ بذلك. فقال أبو داود: فكان جزاء ما صنعت بك أن سعيت بي وأردت قتلي، فأنكر ذلك. فأخرج كتبه فعرفها، فضربه أبو داود يومئذٍ حدّين: أحدهما للحسن بن حمدان. ثم قال أبو داود: أما إني قد تركت ذنبك لك، ولكن الجند أعلم. فأُخرج في القيود، فلما أُخرج من السرادق وثب عليه حرب بن زياد وحفص بن دينار مولى يحيى بن حُضين فضرباه بعمود فوقع إلى الأرض، وعدا عليه أهل الطالقان وغيرهم، فأدخلوه في جوالق، وضربوه بالأعمدة، حتى مات ورجع أبو مسلم إلى مرو.


نهر سيحون
نهر جيحون
كش
سمرقند
بخارى
آمل
ترمذ
مرو
بيهق
جرجان
الري
نيسابور
بلخ
مروالروذ
الطالقان
هراة
أصبهان

قدوم أبي مسلم على أبي العباس:

لم يزل أبو مسلم مقيماً بخراسان، حتى كتب إلى أبي العباس يستأذنه في القدوم عليه، فأجابه إلى ذلك، فقدم على أبي العباس في جماعةٍ من أهل خراسان عظيمةٍ ومن تبعه من غيرهم من الأنبار، فأمر أبو العباس الناس يتلقّونه، فتلقّاه الناس، وأقبل إلى أبي العباس، فدخل عليه فأعظمه، وأكرمه، ثم استأذن أبا العباس في الحج، فقال: لولا أن أبا جعفر يحجّ لاستعملتك على الموسم، وأنزله قريباً منه، فكان يأتيه في كل يومٍ يسلّم عليه، وكان ما بين أبي جعفر وأبي مسلم متباعداً، لأن أبا العباس كان بعث أبا جعفر إلى أبي مسلم وهو بنيسابور، بعدما صفت له الأمور بعهده على خراسان وبالبيعة لأبي العباس ولأبي جعفر من بعده، فبايع له أبو مسلم وأهل خراسان. وأقام أبو جعفر أياماً حتى فرغ من البيعة، ثم انصرف. وكان أبو مسلم قد استخفّ بأبي جعفر بمقدمه ذلك، فلما قدم على أبي العباس أخبره بما كان من استخفافه به.

لما قدم أبو مسلم على أبي العباس، قال أبو جعفر لأبي العباس: يا أمير المؤمنين أطعني واقتل أبا مسلم، فوالله إن في رأسه لغدرة، فقال: يا أخي قد عرفت بلاءه وما كان منه، فقال أبو جعفر: يا أمير

المؤمنين، إنما كان بدولتنا، والله لو بعثت سنّوراً لقام مقامه، وبلغ ما بلغ في هذه الدولة. فقال له أبو العباس: فكيف نقتله؟ قال: إذا دخل عليك وحادثته وأقبل عليك دخلتُ فتغفّلته فضربته من خلفه ضربةً أتيت بها على نفسه، فقال أبو العباس: فكيف بأصحابه الذين يُؤثرونه على دينهم ودنياهم؟ قال: يؤول ذلك كله إلى ما تريد، ولو علموا أنه قُتل تفرّقوا وذلّوا، قال: عزمت عليك إلا كففت عن هذا، قال: أخاف والله إن لم تتغدّه اليوم يتعشّاك غداً، قال: فدونكه، أنت أعلم.

خرج أبو جعفر من عند أبي العباس عازماً على ذلك، فندم أبو العباس، وأرسل إلى أبي جعفر: لا تفعل ذلك الأمر.

وقيل: إن أبا العباس لما أذن لأبي جعفر في قتل أبي مسلم، دخل أبو مسلم على أبي العباس، فبعث أبو العباس رجلاً له، فقال: اذهب فانظر ما يصنع أبو جعفر، فأتاه فوجده محتبياً بسيفه، فقال للرجل: أجالس أمير المؤمنين؟ فقال له: قد تهيّأ للجلوس، ثم رجع الرجل إلى أبي العباس فأخبره بما رأى منه، فردّه إلى أبي جعفر وقال له: قل له الأمر الذي عزمت عليه لا تُنفِذْه، فكفّ أبو جعفر.

وذُكر أن أبا مسلم لما أراد القدوم على أبي العباس، كتب يستأذنه في القدوم للحج، فأذن له، وكتب

إليه أن أقدم في خمسمائةٍ من الجند، فكتب إليه أبو مسلم: إني قد وترت الناس ولست آمن على نفسي. فكتب إليه أن أقبل في ألفٍ، فإنما أنت في سلطان أهلك ودولتك، وطريق مكة لا تحتمل العسكر، فشخص في ثمانية آلاف فرّقهم فيما بين نيسابور والريّ، وقدم بالأموال والخزائن فخلّفها بالريّ، وجمع أيضاً أموال الجبل، وشخص منها في ألف وأقبل، فلما أراد الدخول تلقّاه القواد وسائر الناس، ثم استأذن أبا العباس في الحج، فأذن له، وقال: لولا أن أبا جعفر حاجّ لوليتك الموسم.

أما أبو جعفر فكان أميراً على الجزيرة، فاستخلف على عمله مقاتل بن حكيم العكيّ، وقدم على أبي العباس فاستأذنه في الحج، وحجّ معه أبو مسلم، فلما انقضى الموسم أقبل أبو جعفر وأبو مسلم، فلما كان بين البستان وذات عرق أتى أبا جعفر كتاب بموت أبي العباس، وكان أبو جعفر قد تقدّم أبا مسلم بمرحلةٍ، فكتب إلى أبي مسلم: إنه قد حدث أمر فالعجل العجل، فأتاه الرسول فأخبره، فأقبل حتى لحق أبا جعفر، وأقبلا إلى الكوفة.

وكان أبو العباس عبد الله بن محمد بن علي قد عقد لأخيه أبي جعفر عبد الله بن محمد بن علي الخلافة من بعده، وجعله ولي عهد المسلمين ومن بعد أبي جعفر ابن أخيه عيسى بن موسى بن محمد بن علي،

وكتب العهد بذلك، وصيّره في ثوب، وختم عليه بخاتمه وخواتيم أهل بيته، ودفعه إلى عيسى بن موسى.

وقفة تأمّل:

إن مسير أبي مسلم ومعه ثمانية آلاف من الجند يكلّف الكثير، وإن مرافقة ألفٍ له يحتاج إلى مالٍ وفيرٍ، وهذا يدلّ على ضخامة إمكانية الدولة. ولم يأتِ هذا المال من الغنائم، إذ ذكرنا أن الجهاد كان قليلاً أيام أبي العباس، فليس هناك غنائم ولا مورد من الفتوحات، وإنما كانت البلاد منتجة، والناس يعملون، والموالي يشتغلون، والجميع يقدّمون، فالمنتجات كثيرة، والموارد وفيرة، ودخل الدولة من الإنتاج جيد.

ومن ناحيةٍ ثانيةٍ، فإن مسير هذه الآلاف مع أبي مسلم من إقليمٍ واحدٍ ومن خاصّة جنده الذين يثق بهم ليدلّ على أن أبا مسلم كان مركز الثقل، وأن ذاك الإقليم يرتبط به شخصياً، يرى أهله رأيه، ويدعمونه بثقلهم كله، وأن له مرامي بعيدةً، وأنه ليس من أتباع العباسيين، وإنما اتخذهم مطيةً لكسب عاطفة العامة تحت شعار الدعوة لآل البيت، وسيبقى يحمل هذا الشعار مع غيرهم ما دام يصلح للمتاجرة بالعامة، ويهدف إلى إضعاف المسلمين بضرب بعضهم مع بعضٍ ليقوى من أضعفه المسلمون

وقضوا على دولته، وعقيدته المجوسية السابقة، وليعود مجد ما قد سلف حسبما يُخطّطون له ويهدفون إليه. وقد وقف أبو مسلم لذلك مع العباسيين، وقاتل الأمويين، ويريد أن يُقاتل العباسيين مستعيناً بعواطف العامة نحو آل البيت، فيتخذ بعضهم دريئةً يُخفي خلفها ما يعمل له، ولكن لم يتمّ له ما أراد، إذ أدرك المنصور والسفاح موقعه، وعملا على الخلاص منه، وأخيراً قتله المنصور، غير أن بعض من يسير على نهجه وفق عصبيته قد بقوا يُقدّرونه، ويدّعي بعض المارقين أن روح أبي مسلم حلّت بفلانٍ وفلانٍ مما يدعون لهم ويقدّسونهم.

الجهاد أيام أبي العباس:

سبق أن ذكرنا أن الجهاد قد خفّ في عهد أبي العباس لانصراف الناس إلى أمور أخرى، ولإخلادهم إلى الأرض. وكل ما حدث في خلافة أبي العباس:

١ ـ وجه صالح بن علي لغزو الروم وراء الدروب سعيد بن عبيد الله فقاد الصائفة، ولم يكن من أثرٍ يذكر في ذلك الغزو سنة ثلاثٍ وثلاثين ومائة.

٢ ـ وغزا أبو داود خالد بن إبراهيم سنة أربعٍ وثلاثين ومائة مدينة (كش) فقتل ملكها الأخريد،

وهو سامع مطيع قدم عليه قبل ذلك (بلْخ)، ثم التقى قرب (كش)، وغنم أبو داود متاعاً كثيراً فحمله إلى أبي مسلم وهو بسمرقند. وقتل أبو داود دهقان (كش) مع عدةٍ من دهاقينها، واستحيا (طاران) أخا الأخريد وملكه على (كش)، وأخذ ابن النجاح وردّه إلى أرضه، وانصرف أبو مسلم إلى مرو بعد أن قتل في أهل الصُّغْد وأهل بخارى، وأمر ببناء حائط سمرقند، واستخلف زياد بن صالح على الصُّغْد وأهل بخارى، ثم رجع أبو داود إلى بلْخ.

٣ ـ قدم عبد الله بن علي على أبي العباس بالأنبار سنة ستٍّ وثلاثين ومائة، فعقد له أبو العباس على الصائفة في أهل الشام والموصل والجزيرة وخراسان، فسار فبلغ دلوك، ولم يُدْرِب حتى أتته وفاة أبي العباس.

٤ ـ غزا عبد الرحمن بن حبيب أمير إفريقية جزيرة صقلية، وغنم بها، وسبى، وظفر بها ما لم يظفره أحد قبله، ولكن شُغل ولاة إفريقية بعدئذٍ بالفتنة مع البربر فتمكّن الروم بالجزيرة.

وفاة أبي العباس:

توفي أبو العباس بالأنبار يوم الأحد لثلاث عشرة خلت من ذي الحجة سنة ستٍ وثلاثين ومائة. وكان قد انتقل من الحيرة إلى الأنبار سنة أربعٍ وثلاثين ومائة في شهر ذي الحجة. وصلّى عليه عمه عيسى بن عليّ.

وكانت وفاته بالجدري، والناس بالحج، وأخوه أبو جعفر المنصور عبد الله بن محمد على الموسم، ولم يعلم بالخبر إلا في طريق العودة قبل أن يصل إلى (ذات عرق).

وعاش أبو العباس إحدى وثلاثين سنةً، قضى منها ما يقرب من ٤ سنواتٍ بالخلافة، منٍ مقتل مروان بن محمد في ٢٧ ذي الحجة سنة ١٣٢هـ وحتى وفاته في ١٣ ذي الحجة سنة ١٣٦هـ.

عن عيسى بن عليّ[1]، أنه دخل على السفاح يوم

---

(١) عيسى بن علي بن عبد الله بن العباس: ولد في المدينة سنة ثلاث وثمانين، روى الحديث عن أبيه، وروى عنه ولداه: إسحاق وداود، وهارون الرشيد، وشيبان النحوي.

ينسب إليه نهر عيسى، وقصر عيسى، وقطيعة عيسى ببغداد.

نهر عيسى: كورة، وقرى كثيرة، وعمل واسع غربي بغداد، ومأخذه من نهر الفرات عند قنطرة دِمِمّا، وهو نهر عليه بساتين=

عرفة بكرةً، فوجده صائماً، فأمره أن يُحادثه في يومه هذا، ثم يختم ذلك بفطره عنده، قال: فحادثته حتى أخذه النوم، فقمت عنه، وقلت: أقيل في منزلي ثم أجيء بعد ذلك. فذهبت فنمت قليلاً، ثم قمت، فأقبلت إلى داره، فإذا هو على بابه بشير يُبشّر (بسمع أهل السند وطاعتهم) وبيعتهم للخليفة وتسليم الأمور إلى نوابه. قال: فحمدت الله الذي وفّقني في الدخول عليه بهذه البشارة. فدخلت الدار، فإذا بشير آخر معه بشارة (بسمع أهل إفريقية وطاعتهم)، فحمدت الله، فدخلت

= ومنتزهات كثيرة، وقد قال الشعراء فيه فأكثروا. قال علي بن معمر الواسطي:

يا نهر عيسى إلى عيسى نُسبت وما ... نسبت إلا بتحقيق وإيضاح
فإنه بك إحياء القلوب كما ... عيسى المسيح به إحياء الأرواح

وقصر عيسى هو أول قصر بناه الهاشميون ببغداد أيام المنصور، وكان على شاطئ نهر الرفيل عند مصبه في دجلة، وهو الآن وسط العمران في غربي بغداد، وليس للقصر أثر الآن، وإنما هناك محلة كبيرة ذات سوق تسمى قصر عيسى.

لم يلِ عيسى بن علي لأهل بيته عملاً، قال الرشيد: كان عيسى بن علي راهبنا وعالمنا.

كان يرجع إلى دين وعلم وتقوى، خدم أباه، ولم يلِ شيئاً تورعاً.

وهو عم أبي العباس، وأبي جعفر، وتوفي في بغداد سنة ثلاث وستين ومائة.

عليه فبشّرته بذلك وهو يسرّح لحيته بعد الوضوء، فسقط المشط من يده، ثم قال: سبحان الله، كل شيءٍ بائد سواه، نعيت والله إلى نفسي. قال: وقد أتاني الوافدان فأعظم الله أجرك يا عمّ في ابن أخيك. فقلت: كلا، يا أمير المؤمنين إن شاء الله. قال: بلى إن شاء الله، لئن كانت الدنيا حبيبةً إليّ ـ فالآخرة أحبّ إليّ، ولقاء ربي خير لي، وصحة الرواية عن رسول الله ﷺ بذلك أحبّ إليّ منها، والله ما كُذبت ولا كَذبت. ثم نهض ودخل منزله وأمرني بالجلوس. فلما جاء المؤذّن يعلمه بوقت الظهر ـ خرج الخادم يعلمني أن أُصلّي عنه، وكذلك العصر والمغرب والعشاء، وبتّ هناك، فلما كان وقت السحر أتاني الخادم بكتابٍ معه يأمرني أن أُصلّي عنه الصبح والعيد، ثم أرجع إلى داره، وفيه يقول: يا عمّ إذا متّ فلا تُعلم الناس بموتي حتى تقرأ عليهم هذا الكتاب فيبايعوا لمن فيه. قال: فصليت بالناس، ثم رجعت إليه، فإذا ليس به بأس، ثم دخلت عليه من آخر النهار، فإذا هو على حاله غير أنه قد خرجت في وجهه حبتان صغيرتان، ثم كبرتا، ثم ظهر في وجهه حبّ صغار بيض، يقال: إنه جدري. ثم بكرت إليه في اليوم الثاني، فإذا هو قد هجر، وذهبت عنه معرفتي ومعرفة غيري، ثم رجعت إليه بالعشي فإذا هو قد انتفخ حتى

صار مثل الزقّ، وتوفي في اليوم الثالث من أيام التشريق، فسجّيته كما أمرني، وخرجت إلى الناس فقرأت عليهم كتابه، فإذا فيه: من عبد الله أمير المؤمنين إلى الأولياء وجماعة المسلمين! سلام عليكم أما بعد: فقد قلّد أمير المؤمنين خليفةً عليكم بعد وفاته أخاه، فاسمعوا وأطيعوا، وقد قلّدها من بعده عيسى بن موسى[1] إن كان. قال: فاختلف الناس في قوله: «إن

---

(١) عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس: ولد بالحميمة سنة اثنتين ومائة، وبها نشأ، وهو ابن أخي أبي العباس. كان فارس بني العباس، وسيفهم المسلول، ويقال له: شيخ الدولة. ولّاه عمه الكوفة وسوادها سنة اثنتين وثلاثين ومائة. وجعله ولي عهد المؤمنين بعد المنصور. وهو الذي انتُدب لحرب ابني عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب: محمد ذي النفس الزكية وأخيه إبراهيم فظفر بهما، وقتلهما، وتوطّدت الدولة العباسية به. وقد تحايل عليه المنصور حتى أخّره، وعزله عن الكوفة وأرضاه بمالٍ وفيرٍ، وقدّم في العهد عليه ولده محمد المهدي بن أبي جعفر المنصور، ويقال: بذل له بعد الرغبة والرهبة عشرة آلاف ألف درهمٍ وذلك سنة سبعٍ وأربعين ومائة.
فلما ولي المهدي خلعه سنة ستين ومائة بعد تهديدٍ ووعيدٍ، وكان ولي العهد لا يُخلع ما لم يَخلع نفسه، ويُشهد الناس عليه.
أقام بالكوفة حتى توفي سنة ثمان وستين، وعمره خمس=

كان» قيل: إن كان أهلاً لها. وقال آخرون: إن كان حياً. وهذا القول الثاني هو الصواب.

وذكر ابن عساكر أن الطبيب دخل عليه، فأخذ بيده، فأنشأ يقول عند ذلك:

انظر إلى ضعف الحرا
ك وذلّه بعد السكون
ينبيك أن بيانه
هذا مقدمة المنون

فقال له الطبيب: أنت صالح. فأنشأ يقول:

يُبشّرني بأني ذو صلاح
يبين له وبي داء دفين
لقد أيقنت أني غير باقٍ
ولا شك إذا وضح اليقين

قال بعض أهل العلم: كان آخر ما تكلم به السفاح: الملك لله الحيّ القيوم، ملك الملوك، وجبّار الجبابرة. وكان نقش خاتمة «الله ثقة عبد الله»[1].

= وستون سنةً. وكانت وفاته قبل المهدي الذي توفّي سنة تسع وستين ومائة.

(١) البداية والنهاية ـ ابن كثير.

الفصل الرابع

شخصيّة أبي العبّاس

* كان أبو العباس شاباً، مليحاً، مهيباً، وقوراً، أبيض، أقنى الأنف، حسن الوجه واللحية.

* وينسب له هذان البيتان:

يا آل مروان إن الله مهلككم
ومُبدّل أمنكم خوفاً وتشريدا
لا عمّر الله من أنسابكم أحداً
وبثّكم في بلاد الله تبديدا

* ومن كلامه: من شدّد نفّر، ومن لان تألّف.

* وقال: إذا عظمت القدرة، قلّت الشهوة. قلّ تبرّع إلا ومعه حقّ مضاع. الصبر حسن إلا على ما أَوْتَغَ الدين وأوهن السلطان.

* كان إذا تعادى اثنان من خاصّته لم يسمع من أحدهما في الآخر، ويقول: الضغائن تولد العداوة.

وكان إذا علم بين اثنين تعادياً، لم يقبل شهادة ذا على ذا، ويقول: العداوة تزيل العدالة.

* وكان يضرب المثل بجود أبي العباس، فيقال: إنه أعطى عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ألفي ألف درهم. وكان يجزل العطاء عامةً.

* دخل عليه في أول ولايته عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، ومعه مصحف، وعند أبي العباس وجوه بني هاشم من أهل بيته وغيرهم، فقال له: يا أمير المؤمنين أعطنا حقنا الذي جعله الله لنا في هذا المصحف. قال: فأشفق عليه الحاضرون أن يعجل عليه أبو العباس بشيء، أو يترك جوابه فيبقى ذلك مسبَّة عليه وعليهم، فأقبل أبو العباس عليه غير مغضبٍ ولا منزعج، فقال: إن جدّك علياً ـ كان خيراً مني وأعدل ـ، وقد ولي هذا الأمر، فأعطى جدّيك الحسن والحسين ـ وكانا خيراً منك ـ شيئاً، وقد أعطيتكه وزدتك عليه، فما كان جزائي منك، قال: فما ردّ عليه عبد الله بن حسن جواباً، وتعجّب الناس من سرعة جوابه وجدته وجودته على البديهة[1].

(١) البداية والنهاية ـ ابن كثير.

* لم يكن أحد من الخلفاء يحب مسامرة الرجال مثل أبي العباس، وكان كثيراً ما يقول: إنما العجب ممن يترك أن يزداد علماً ويختار أن يزداد جهلاً، فقال له أبو بكر الهذلي: ما تأويل هذا الكلام يا أمير المؤمنين؟ قال: يترك مجالسة مثلك ومثل أصحابك ويدخل إلى امرأةٍ وجاريةٍ فلا يزال يسمع سخفاً ويرى نقصاً.

* ودخل عليه أبو نخيلة الشاعر فسلّم عليه وانتسب له، وقال: عبدك يا أمير المؤمنين وشاعرك، أفتأذن لي في إنشادك؟ فقال له: لعنة الله على الشيطان، ألست القائل في مسلمة بن عبد الملك:

أَمَسْلَمَ إني يابن كل خليفةٍ
ويا فارس الهيجا ويا جبل الأرض
شكرتك إن الشكر حبل من التقى
وما كل من أوليته نعمةً يقضي
وأحييت لي ذكري وما كان خاملاً
ولكن بعض الذكر أنبه من بعض

قال: فأنا يا أمير المؤمنين الذي أقول:

لما رأينا استمسكت يداكا
كنّا أُناساً نرهب الأملاكا

ونـركـب الأعـجـاز والأوراكـا
من كـل شـيءٍ مـا خـلا الإشـراكـا
فـكـل مـا قـد قـلـت فـي سـواكـا
زُورٌ وقـد كـفّـر هـذا ذاكـا
إنـا انـتـظـرنـا قـبـلـهـا أبـاكـا
ثـم انـتـظـرنـا بـعـدهـا أخـاكـا
ثـم انـتـظـرنـاك لـهـا إيّـاكـا
فـكـنـت أنـت لـلـرجـال ذاكـا

فرضي عنه، ووصله وأجازه.

* وكان أبو العباس إذا حضر طعامه أبسطَ ما يكون وجهاً، فكان إبراهيم بن مخرمة الكندي إذا أراد أن يسأله حاجةً أخّرها حتى يحضر طعامه ثم يسأله، فقال له يوماً: يا إبراهيم ما دعاك أن تشغلني عن طعامي بحوائجك؟ قال: يدعوني إلى ذلك التماس النجح لِما أسأل، فقال أبو العباس: إنك لحقيق بالسؤدد لحسن هذه الفطنة. وكان إذا تعادى رجلان من أصحاب أبي العباس وبطانته لم يسمع من أحدهما في الآخر شيئاً ولم يقبله، وإن كان القائل عنده عدلاً في شهادته، وإذا اصطلح الرجلان لم يقبل شهادة واحدٍ منهما لصاحبه ولا عليه، ويقول: إن

الضغينة القديمة تولد العداوة الممِضّة، وتحمل على إظهار المسالمة وتحتها الأفعى التي إذا استمكنت لم تُبق.

* كان أبو العباس في أول أيامه يظهر لندمائه ثم احتجب عنهم، وذلك لسنةٍ خلت من ملكه.

* عن يزيد الرقاشيّ قال: كان السفاح يعجبه مسامرة الرجال، وإني سمرت عنده ذات ليلةٍ فقال: يا يزيد أخبرني بأطرف حديثٍ سمعته، قلت: يا أمير المؤمنين، وإن كان في بني هاشم؟ قال: ذلك أعجب إليّ، قلت: يا أمير المؤمنين نزل رجل من تنوخ بحيٍّ من بني عامر بن صعصعة، فجعل لا يحطّ شيئاً من متاعه إلا ويتمثّل بهذا البيت:

لعمرك ما تبلى سرابيل عامرٍ
من اللؤم ما دامت عليها جلودها

فخرجت إليه جارية من الحيّ فحادثته وآنسته حتى أنس بها، ثم قالت: ممن أنت مُتِّعْتُ بك؟، قال: رجل من تميم، قالت: أتعرف الذي يقول:

تميم بِطُرْق اللوم أهدى من القطا
ولو سلكت سبلَ المكارم ضلّت

ولو أن برغوثاً على ظهر قملةٍ
يكرّ على صفّي تميمٍ لولّت
ذبحنا فسمّينا فتمّ ذبيحنا
وما ذبحت يوماً تميم فسمّت
أرى الليل يجلوه النهار ولا أرى
عظام المخازي عن تميم تجلّت

قال: والله ما أنا من تميم، قالت: ممن أنت؟ قال: رجل من عجل، قالت: أتعرف الذي يقول:

أرى الناس يعطون الجزيل وإنما
عطاء بني عجلٍ ثلاث وأربع
إذا مات عجليّ بأرضٍ فإنما
يشقّ له منها ذراع وأصبع

قال: لا والله ما أنا من عجل، قالت: فممن أنت؟ قال: رجل من بني يشكر، قالت: أتعرف الذي يقول:

إذا يشكريّ مسّ ثوبك ثوبه
فلا تذكرنّ الله حتى تطهّرا

قال: لا والله ما أنا من يشكر، قالت: فممن أنت؟ قال: رجل من بني عبد القيس، قالت: أتعرف الذي يقول:

رأيت عبد القيس لاقت ذلّاً
إذا أصابوا بصلاً وخلّا
ومالحاً مُعتّقاً قد صلا
باتوا يسلّون النساء سلّا
سلّ النبيط القصب المبتلّا

قال: والله ما أنا من عبد القيس، قالت: فممن أنت؟ قال: رجل من باهلة، قالت: أتعرف الذي يقول:

إذا ازدحم الكرام على المعالي
تنحّى الباهليّ عن الزحام
ولو كان الخليفة باهلياً
لقصّر عن مناوأة الكرام
وعِرضُ الباهليّ ولو توقّى
عليه مثل منديل الطعام

قال: لا والله ما أنا من باهلة، قالت: فممن أنت؟ قال: رجل من بني فزارة، قالت: أتعرف الذي يقول:

لا تأمننّ فزارياً خلوت به
على قلوصك واكتبها بأسيار
لا تأمننّ فزارياً على حمرٍ
امتلّ أير العير في النار

قوم إذا نزل الأضياف ساحتهم
قالوا لأمهم بولي على النار

قال: لا والله ما أنا من فزارة، قالت: فممن أنت؟ قال: رجل من ثقيف، قالت: أتعرف الذي يقول:

أضلّ الناسبون أبا ثقيفٍ
فليس لهم أب إلا الضلال
فإن نُسبت أو انتسبت ثقيف
إلى أحدٍ فذاك هو المحال
خنازير الحشوش فقتِّلوها
فإن دماءها لكمُ حلال

قال: لا والله ما أنا من ثقيفٍ، قالت: فممن أنت؟ قال: رجل من بني عبس، قالت: أتعرف الذي يقول:

إذا عبسيّة ولدت غلاماً
فبشّرها بلومٍ مستفاد

قال: لا والله ما أنا من عبس، قالت: فممن أنت؟ قال: رجل من ثعلبة، قالت: أتعرف الذي يقول:

فثعلبة بن قيسٍ شرّ قومٍ
وألأمهم وأغدرهم بجار

قال: لا والله ما أنا من ثعلبة، قالت: فممن أنت؟ قال: رجل من غنيّ، قالت: أتعرف الذي يقول:

إذا غَنويّة ولدت غلاماً
فبشّرها بخيّاطٍ مُجيد

قال: لا والله ما أنا من غنيّ، قالت: فممن أنت؟ قال: رجل من بني مرة، قالت: أتعرف الذي يقول:

إذا مرّيّة خضبت يداها
فزوّجها ولا تأمن زِناها

قال: لا والله ما أنا من بني مرّة، قالت: فممن أنت؟ قال: رجل من بني ضبّة، قالت: أتعرف الذي يقول:

لقد زَرِقت عيناك يا ابن مُكعبرٍ
كما كلّ ضبيّ من اللوم أزرق

قال: لا والله ما أنا من بني ضبّة، قالت: فممن أنت؟ قال: رجل من بَجيلة، قالت: أتعرف الذي يقول:

سألنا عن بَجيلة أين حلّت
لنخبر أين قرّ بها القرار

فما تدري بَجيلة حين تُدعى
أقحطان أبوها أم نزار
فقد وقعت بجيلة بين بين
وقد خُلعت كما خُلع العِذار

قال: لا والله ما أنا من بجيلة، قالت: فممن أنت؟ قال: رجل من الأزد، قالت: أتعرف الذي يقول:

إذا أزدية ولدت غلاماً
فبشّرها بملّاح مُجيد

قال: لا والله ما أنا من الأزد، قالت: فممن أنت؟ ويحك، ما تستحي، قل الحق، قال: رجل من خزاعة، قالت: أتعرف الذي يقول:

إذا افتخرت خزاعة في قديم
وجدها فخرها شرب الخمور
وباعت كعبة الرحمن جهراً
بزقٍّ بئس مفتخر الفجور

قال: لا والله ما أنا من خزاعة، قالت: فممن أنت؟ قال: رجل من سليح، قالت: أتعرف الذي يقول:

وما لسليحٍ شتّت الله أمرها
تدين بأيديها وتعيى أمورها[1]

قال: لا والله ما أنا من سليح، قالت: فممن أنت؟ قال: رجل من بني لقيط، قالت: أتعرف الذي يقول:

لعمرك ما البحار ولا الفيافي
بأوسع من فقاح بني لقيط
لقيط شرّ من ركب المطايا
وأنذل من يدبّ على البسيط
ألا لعن الإله بني لقيط
بقايا سبية من قوم لوط

قال: لا والله ما أنا من لقيطٍ، قالت: فممن أنت؟ قال: رجل من كِندة، قالت: أتعرف الذي يقول:

إذا ما افتخر الكند
يّ ذو البهجة والطُّرّه
فبالنسج وبالخفّ
وبالسدل وبالحُفْره

---

(١) غُيّرت كلمات الشطر الثاني لما فيه. فالنون دالاً، والكاف نوناً، والياء ميماً.

فــدع كِـــنــدة لــلـــنــســج
فــأعــلــى فــخــرهــا عُــرّه

قال: لا والله ما أنا من كندة، قالت: فممن أنت؟ قال: رجل من خثعم، قالت: أتعرف الذي يقول:

وخثعم لو صَفرت بها صفيراً
لطارت في البلاد مع الجراد

قال: لا والله ما أنا من خثعم، قالت: فممن أنت؟ قال: رجل من طيء، قالت: أتعرف الذي يقول:

وما طيء إلا نبيط تجمّعت
فقال طيأنا كلمة فاستمرّت
ولو أن حُرقوصاً يمدّ جناحه
على جبلي طيءٍ إذن لاستظلّت

قال: لا والله ما أنا من طيءٍ، قالت: فممن أنت؟ قال: رجل من مزينة، قالت: أتعرف الذي يقول:

وهــل مــزيــنــة إلا قُــبَــيِّــلــة
لا يــرتــجــى كــرم مــنــهــا ولا ديــن

قال: لا والله ما أنا من مزينة، قالت: فممن أنت؟ قال: رجل من النخع، قالت: أتعرف الذي يقول:

إذا النخع اللئام عَدَوْا جميعاً
تأذّى الناس من ذفر الزحام
وما يسمو إلى مجدٍ كريمٍ
وما هم في الصميم من الكرام

قال: لا والله ما أنا من النخع، قالت: فممن أنت؟ قال: رجل من أوْد، قالت: أتعرف الذي يقول:

إذا نزلتَ بأَوْد في ديارهمُ
فاعلم بأنك منهم لست بالناجي
لا تركننّ إلى كهلٍ ولا حَدَثٍ
فليس في القوم إلا كلّ عفّاج

قال: لا والله ما أنا من أوْد، قالت: فممن أنت؟ قال: رجل من لخم، قالت: أتعرف الذي يقول:

إذا ما انتمى قوم لفخر قديمهم
تباعد فخر الجود عن لخمَ أجما

قال: لا والله ما أنا من لخم، قالت: فممن أنت؟ قال: رجل من جُذام، قالت: أتعرف الذي يقول:

إذا كأس المُدام أُدير يوماً
لمكرمةٍ تنحّى عن جُذام

قال: لا والله ما أنا من جُذام، قالت: فممن أنت ويلك، ما تستحي من كثرة الكذب، قال: أنا رجل من تنوخ وهو الحق، قالت: أتعرف الذي يقول:

إذا تنوخ قطعت منهلاً
في طلب الغارات والثار
آبت بخزيٍ من إله العُلى
وشهرةٍ في الأهل والجار

قال: لا والله ما أنا من تنوخ، قالت: فممن أنت ثكلتك أمك؟ قال: أنا رجل من حمير، قالت: أتعرف الذي يقول:

نبئت حمير تهجوني فقلت لهم
ما كنت أحسبهم كانوا ولا خُلقوا
لأن حمير قوم لا نِصابَ لهم
كالعود بالقاع لا ماء ولا ورق
لا يكثرون وإن طالت حياتهم
ولو يبول عليهم ثعلب غرقوا

قال: لا والله ما أنا من حمير، قالت: فممن أنت؟ قال: رجل من يُحابِر، قالت: أتعرف الذي يقول:

ولو صرّ صرّار بأرض يُحابر
لماتوا وأضحوا في التراب رميما

قال: لا والله ما أنا من يُحابر، قالت: فممن أنت؟ قال: رجل من قُشَيْر، قالت: أتعرف الذي يقول:

بني قشيرٍ قتلت سيدّكم
فاليوم لا فدية ولا قَوَد

قال: لا والله ما أنا من قشير، قالت: فممن أنت؟ قال: رجل من بني أمية، قالت: أتعرف الذي يقول:

وهى من أمية بنيانها
فهان على الله فقدانها
وكانت أمية فيما مضى
جريء على الله سلطانها
فلا آل حرب أطاعوا الرسول
ولم يتق الله مروانها

قال: لا والله ما أنا من بني أمية، قالت: فممن أنت؟ قال: رجل من بني هاشم، قالت: أتعرف الذي يقول:

بني هاشم عودوا إلى نَخَلاتكم
فقد صار هذا التمر صاعاً بدرهم

فإن قلتم رهط النبي محمدٍ
فإن النصارى رهط عيسى بن مريم[1]

قال: لا والله ما أنا من بني هاشمٍ، قالت: فممن أنت؟ قال: رجل من همدان، قالت: أتعرف الذي يقول:

إذا همدان دارت يوم حربٍ
رحاها فوق هامات الرجال
رأيتهم يحثّون المطايا
سراعاً هاربين من القتال

قال: لا والله ما أنا من همدان، قالت: فممن أنت؟ قال: رجل من قضاعة، قالت: أتعرف الذي يقول:

لا يفخرن قضاعيّ بأسرته
فليس من يمنٍ محضاً ولا مُضَر
مذبذبون فلا قحطان والدهم
ولا نزار فخلّوهم في سفر

---

(١) النصارى ليسوا رهط عيسى بن مريم، وهو بريء منهم وقد قالوا: المسيح ابن الله، وقالوا: إنه صُلب. ورهطه إنما هم المسلمون.

قال: لا والله ما أنا من قضاعة، قالت: فممن أنت؟ قال: رجل من شيبان، قالت: أتعرف الذي يقول:

شيبان قوم لهم عديد
وكلهم مُقرف لئيم
ما فيهم ماجد حسيب
ولا نجيب ولا كريم

قال: لا والله ما أنا من شيبان، قالت: فممن أنت؟ قال: رجل من بني نمير، قالت: أتعرف الذي يقول:

فغضّ الطرف إنك من نميرٍ
فلا كعباً بلغت ولا كلابا
ولو وضعت فِقاح بني نميرٍ
على خَبَث الحديد إذن لذابا

قال: لا والله ما أنا من بني نميرٍ، قالت: فممن أنت؟ قال: رجل من تغلب، قالت: أتعرف الذي يقول:

لا تطلُبنّ خؤولةً في تغلبٍ
فالزنج أكرم فيهم أخوالا

والتغلبيّ إذا تَنَحْنَح للقِرى
حكّ أُستَه وتمثّل الأمثالا

قال: لا والله ما أنا من تغلب، قالت: فممن أنت؟ قال: رجل من مُجاشع، قالت: أتعرف الذي يقول:

تبكي المغيبة من بنات مُجاشعٍ
ولها إذا سُمِعَتْ نهيقُ حمار

قال: لا والله ما أنا من مجاشع، فقالت: فممن أنت؟ قال: رجل من كلب، قالت: أتعرف الذي يقول:

فلا تقربَنْ كلباً ولا باب دارها
فما يطمع الساري يرى ضوء نارها

قال: لا والله ما أنا من كلب، قالت: فممن أنت؟ قال: رجل من بني تيْم، قالت: أتعرف الذي يقول:

تيميّة مثل أنف الفيل مُقبلها
تهدي الرحا ببنان غير مجذوم

قال: لا والله ما أنا من تيْم، قالت: فممن أنت؟ قال: رجل من جَرْم، قالت: أتعرف الذي يقول:

تُمنّيني سويق الكرم جرْم
وما جرْم وما ذاك السويق؟
فما شربوه لما كان حِلّاً
ولا غالوْا به إذ قام سوق
فلمّا أُنزِل التحريمُ فيها
إذا الجرميّ منها لا يفيق

قال: لا والله ما أنا من جرْم، قالت: فممن أنت؟ قال: رجل من سُليم، قالت: أتعرف الذي يقول:

إذا ما سُليم جئتها لغدائها
رجعت كما جئت غرثان جائعا

قال: لا والله ما أنا من سُليم، قالت: فممن أنت؟ قال: رجل من الموالي، قالت: أتعرف الذي يقول:

ألا من أراد اللؤم والفحش والخنا
فعند الموالي الجيد والطرَفان

قال: أخطأت نسبي وربّ الكعبة، أنا رجل من الخوز، قالت: أتعرف الذي يقول:

لا بارك الله ربي فيكم أبداً
يا معشر الخوز إن الخوز في النار

قال: لا والله ما أنا من الخوز، قالت: فممن أنت؟ قال: رجل من أولاد حام، قالت: أتعرف الذي يقول:

فلا تنكحَنْ أولاد حامٍ فإنهم
مشاويه خلق الله حاشا ابن أكوع

قال: لا والله ما أنا من حام ولكني من أولاد الشيطان الرجيم، قالت: فلعنك الله ولعن أباك الشيطان معك، أتعرف الذي يقول:

ألا يا عِباد الله هذا عدوّكم
عدوّ نبيّ الله إبليس ينهق

قال لها: هذا مقام العائذ بك، قالت: قم فارحل خاسئاً مذموماً، وإذا نزلت بقومٍ فلا تنشد فيهم شعراً حتى تعرف من هم، ولا تتعرّض للمباحثة عن مساوئ الناس، فلكل قومٍ إساءة وإحسان، إلا رسل رب العالمين ومن اختاره الله من عباده وعصمه من عدوّه، وأنت كما قال جرير للفرزدق:

وكنتَ إذا حللت بدار قومٍ
رحلت بخِزْيَةٍ وتركت عارا

فقال لها: والله لا أنشدت شعراً أبداً.

فقال السفاح: لئن كنت عملت هذا الخبر ونظمت فيمن ذكرت هذه الأشعار فلقد أحسنت، وإنك سيّد الكذّابين، وإن كان الخبر صدقاً وكنت فيما ذكرته مُحقّاً، فإن هذه الجارية العامرية لِمن أحضر الناس جواباً، وأبصرهم بمثالب الناس[1].

---

(١) هذا الكلام الذي نقله يزيد الرقاشي أو نُسب له عارٍ عن الصحة، وإنما من نظم شاعرٍ واحدٍ سوى الأبيات الثلاثة التي هي لجرير، ونسبت له، ولو كان أي بيت لشاعرٍ غير الناظم لنُسب له، وهذا واضح من الأسلوب وطريقة النظم.
والقصد من هذا الكلام الطعن بالقبائل العربية جميعها، ما دام العرب هم الذين حملوا الإسلام لبقية الشعوب، وجاهدوا في سبيل وصوله إليها، كما جاهدوا بالدعوة له.
وفي الوقت نفسه فإن هذا الكلام طعن بأبي العباس الذي يسمع مثل هذا ويسكت، ومعنى هذا أن مجالسه تعجّ بمثل هذه الموضوعات. أي أن الذين ساندوا العباسيين بدؤوا بالطعن بهم مذ استلموا الخلافة، إذ أصبحوا خلفاء ويُمثّلون الإسلام، ويقودون المسلمين.
ولم ينقل هذا الكلام سوى أحد الذين يحملون أفكار المتلوّنين حتى ينقل أحياناً موضوعات خارجة عن حدود العقل، ويظهر فيها الطعن بالإسلام صراحةً وبصحابة رسول الله ﷺ، وذلك هو المسعودي صاحب كتاب مروج الذهب، الذي أُخذ منه هذا النص، ونقلته لأذكر هذا الكلام.

الفصل الخامس

أسرة أبي العبّاس

أبو العباس عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف. ولد جدّه علي بن عبد الله بن العباس سنة أربعين أي في العام الذي قُتل فيه علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، فسمّي باسمه عليًّا، وكني بكنيته أبا الحسن، غير أن عبد الملك بن مروان قال له: لا أحتمل لك الاسم والكنية فكناه أبا محمد.

وأم علي بن عبد الله ابنة ملك كِندة مشرح بن عدي.

حدّث عن أبيه عبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر، وأبي هريرة، وأبي سعيد الخدري، وروى عنه بنوه: عيسى، وداود، وسليمان، وعبد الصمد، وكذلك الزهري، ومنصور بن المعتمِر، وسعد بن إبراهيم، وعلي بن أبي حملة وآخرون.

كان ثقةً، قليل الحديث. ولُقّب بالسجّاد لكثرة صلاته.

وله من الأولاد: محمد، وصالح، وأحمد، وبشير، ومبشر، وإسماعيل، وعيسى، وسليمان، وداود، وعبد الصمد، وعبد الله، وعبيد الله، وعبد الملك، وعبد الرحمن، وعثمان، ويحيى، وإسحاق، ويعقوب، وعبد العزيز، والأحنف، وعدة بنات.

وأسكنهم بنو أمية بالحميمة من أرض الشراة من أعمال الأردن.

ومن زوجات علي بن عبد الله لبابة بنت عبد الله بن جعفر، وكانت عند عبد الملك بن مروان، فعضّ تفاحةً وناولها، وكان أبخر، فقشطتها بسكينٍ، وقالت: أُميط عنها الأذى، فطلّقها، فتزوّجها عليّ بن عبد الله.

وتوفي عليّ بن عبد الله سنة ثماني عشرة ومائة عن ثمانٍ وسبعين سنةً[1].

والد أبي العباس:

وأما محمد بن علي والد أبي العباس فقد وُلد بالحميمة سنة اثنتين وستين في خلافة يزيد بن معاوية،

---

(١) سير أعلام النبلاء.

وبالحميمة نشأ وتربّى، وهو من أكبر أبناء والده علي بن عبد الله، وقد زاره بالحميمة أبو هاشم عبد الله بن محمد بن علي بن أبي طالب، وهو ابن محمد ابن الحنفية، وكان يبثّ الدعوة سرّاً لبني هاشمٍ، ويُنفّر الناس من بني أمية، وهناك فرقة ترى أن عليّ بن أبي طالب، رضي الله عنه، قد أوصى بالخلافة من بعده لابنه محمد بن الحنفية، ومنه انتقلت إلى ابنه عبد الله أبي هاشم هذا، وهذا الرأي لتحقيق مصالح، إذ أن الخلافة ليست إرثاً، بل هم أنفسهم يحملون على بني أمية وينتقدونهم في أنهم جعلوا الخلافة وراثيةً فيهم، ويجدون التأييد في هذا النقد لصحته وموافقته لتعاليم الإسلام، ولكنهم في الوقت نفسه كانوا يرون وراثة علي، رضي الله عنه، في الخلافة، ويدعون إلى ذلك، ويصرّون عليها، ويعدّونها شرعيةً.

ومرض أبو هاشم عبد الله بن محمد في بيت محمد بن علي، وشعر بدنو أجله، فجلس إلى مضيفه وأخبره بعمله ونشاطه، وسرّ دعوته، وطلب منه أن يتبنّى هذا العمل ويقوم به، فإن كثرة إخوته إضافةً إلى العاملين في الميدان حريّ أن يدفع العمل إلى الأمام. فوافق محمد بن عليّ على الدعوة لبني هاشم.

وجاء أجل أبي هاشم، وانتقل إلى رحمة الله، وأسرع أصحاب الأهواء الذين كانوا يعملون معه لغاياتٍ وأهدافٍ بعيدةٍ، أسرعوا إلى محمد بن علي ونقلوا له أن الخليفة الأموي سليمان بن عبد الملك قد أرسل شخصاً إلى أبي هاشم، فدسّ له سمّاً في طعامه فمات بسببه، ونقلُ هذا الخبر جزء من عمل هؤلاء الأشخاص، إذ فيه تنفير من بني أمية، ودعاية ضدّهم، وإساءة لهم من هذه التصرّفات، وفي الوقت نفسه تحريض لمحمد بن علي للنشاط بالعمل وبثّ الكراهية في قلبه لبني أمية، إذ أن أبا هاشم ضيف عنده، فالإساءة إنما موجّهة إليه، وهو بدء حربٍ عليه. وأخذ المتلوّنون بالنشاط لنشر هذا الخبر المفترى، حتى شاع ودُوِّن وتناقله رواتهم حتى وصل إلى المؤرخين فسجّلوه وأصبح كأنه حقيقة.

قام محمد بن علي بالدعوة إلى بني هاشم، ونشط في عمله حتى جاءه الأجل المحتوم، وتوفي سنة خمسٍ وعشرين ومائة بعد أن أوصى بالعمل من بعده إلى ابنه إبراهيم بن محمد، مات محمد بن علي عن عمرٍ يناهز ثلاثاً وستين سنةً.

والدة أبي العباس:

هي ريطة بنت عبيد الله بن عبد الله بن عبد المدان

الحارثية[1]. وكان يقال: ابن الحارثية إشارةً إلى أن أمه حرّة، وليست أم ولد.

إخوة أبي العباس:

كان لأبي العباس عدد من الإخوة منهم:

١ - إبراهيم بن محمد:

وقد ولد بالحميمة سنة اثنتين وثمانين فهو أكبر إخوته، وعندما توفي أبوه محمد بن علي أوصى إليه بقيادة العمل لبني هاشم، فعُرف باسم (الإمام)، وكان أتباعه في خراسان يفدون إليه، ويراسلونه، فأرسل أبا مسلم الخراساني ليكون مسؤولاً عن أتباعه في

---

(١) ولما كان أعداء بني أمية هم أنفسهم أعداء بني العباس، وإن أظهروا الوقوف في مرحلةٍ من المراحل إلى جانب فريقٍ وضد الفريق الآخر، إلا أن هذا الموقف كانت تقتضيه سياسة تحقيق الأهداف السرية ضد الإسلام، وليتمكّنوا من تحويل السهام نحو بني العباس بعد أن شوهوا تاريخ الأمويين، فإنهم ربطوا بين الأمويين والعباسيين في بعض الخيوط، فذكروا أن أم السفاح كانت تحت عبد الملك بن مروان، فكان له منها الحجاج بن عبد الملك، فلما توفي عبد الملك تزوجها محمد بن علي بن عبد الله بن العباس، فولدت منه عبد الله بن محمد السفاح، وعبيد الله، وداود، وميمونة. (مروج الذهب - المسعودي).

خراسان، وقد نجح أبو مسلم في مهمته. وكان اسم الإمام سرّاً، وإنما يستعملون اصطلاح «الرضا من آل محمد».

ثم ظهر أمر إبراهيم وعلم به مروان بن محمد فقبض عليه، وزجّه بالسجن في حران، ثم قُتل في حبسه، في شهر صفر سنة اثنتين وثلاثين ومائة، عن إحدى وخمسين سنةً. واختلفت الروايات في قتله.

أ ـ قيل: كان مروان بن محمد قد وكّل رجالاً بالطرق، فإذا بهم قد جاءوا إليه برسولٍ من خراسان معه كتاب من أبي مسلم إلى إبراهيم بن محمد الإمام، يخبره فيه خبره وما آل إليه أمره، فلما تأمل مروان كتاب أبي مسلم، قال للرسول: لا تُرَع، كم دفع لك صاحبك؟ قال: كذا وكذا، قال: فهذه عشرة آلاف درهم لك، وإنما دفع إليه شيئاً يسيراً. وامض بهذا الكتاب إلى إبراهيم ولا تعلمه بشيءٍ مما جرى، وخُذ جوابه فائتني به. ففعل الرسول ذلك. فتأمل مروان جواب إبراهيم إلى أبي مسلم بخطه يأمره فيه بالجدّ والاجتهاد، والحيلة على عدوّه وغير ذلك من أمره ونهيه. فاحتبس مروان الرسول قِبَلَه، وكتب إلى الوليد بن معاوية بن مروان، وهو على دمشق، يأمره أن يكتب إلى

عامل البلقاء، فيسير إلى القرية بكرار الحميمة ليأخذ إبراهيم بن محمد فيشدّه وثاقاً، ويبعث به إليه في خيلٍ كثيفةٍ، فوجّه الوليد إلى عامل البلقاء، فأتى إبراهيم وهو جالس في مسجد القرية، فأُخذ وهو يتلفّت، وحُمل إلى الوليد، فحمله الوليد إلى مروان، فحبسه في السجن بحران.

وجرى بين مروان وبين إبراهيم نقاش حاد حين مثل إبراهيم بن يدي مروان، وأغلظ له إبراهيم، وأنكر كل ما ذكره له مروان من أمر أبي مسلم، فقال له مروان: يا منافق أليس هذا كتابك إلى أبي مسلم جواباً على كتابه إليك؟ وأخرج إليه الرسول، وقال: أتعرف هذا؟ فلما رأى ذلك إبراهيم أمسك وعلم أنه أُتي من مأمنه.

وكان مع إبراهيم في الحبس عبد الله بن عمر بن عبد العزيز بن مروان، والعباس بن الوليد بن عبد الملك بن مروان، وجماعة من بني هاشم أيضاً. وذُكر أنه هجم عليهم في الحبس بحرّان جماعة من موالي مروان من العجم وغيرهم، فدخلوا البيت الذي كان فيه إبراهيم، والعباس، وعبد الله، فأقاموا عندهم ساعةً، ثم خرجوا، وأغلق باب البيت، فلما كان

الصباح دخلوا عليهم فوجدوهم قد أُتي عليهم، ومعهم غلامان صغيران من خدمهم كالموتى، فلما رأى الغلامان من دخل أَنِسا بهم، فسألوهما ما الخبر؟. فقالا: أما العباس وعبد الله فجُعل على وجوههما مخادّ وقُعد فوقهما، فاضطربا ثم بردا، وأما إبراهيم فإنهم جعلوا رأسه في جرابٍ كان معهم فيه نورة مسحوقة فاضطرب ساعةً ثم خمد.

ب ـ وقيل: إن شراحيل بن مسلمة بن عبد الملك بن مروان كان محبوساً مع إبراهيم بن محمد، فكانا يتزاوران فصار بينهما مودة، فأتى رسول من شراحيل إلى إبراهيم بلبنٍ فقال: يقول لك أخوك: إني شربت من هذا اللبن فاستطبته فأحببت أن تشرب منه، فشرب منه فتكسّر جسده من ساعته ـ وكان يوماً يزور فيه شراحيل فأبطأ عليه ـ فأرسل إليه شراحيل: إنك قد أبطأت فما حبسك؟ فأعاد إبراهيم إني لما شربت اللبن الذي أرسلت به قد أسهلني، فأتاه شراحيل فقال: والله الذي لا إله إلا هو ما شربت اليوم لبناً، ولا أرسلت به إليك، فإنا لله وإنا إليه راجعون، احتيل والله عليك، فبات إبراهيم ليلته، وأصبح ميتاً من الغد[1].

---

(١) الكامل في التاريخ ـ ابن الأثير.

جـ ـ وقيل: إنه هُدم عليه بيت حتى مات.

د ـ وقيل: إن إبراهيم بن محمد شهد الموسم عام إحدى وثلاثين ومائة، واشتهر أمره هناك لأنه وقف في أبهةٍ عظيمةٍ، ونجائب كثيرةٍ، وحرمة وافرةٍ، فأُنهي أمره إلى مروان، وقيل له: إن أبا مسلم يدعو الناس إلى هذا، ويُسمّونه خليفة، فبعث إليه في المحرم من سنة ثنتين وثلاثين، وقتله في صفر من هذه السنة، وهذا أصحّ مما تقدّم[1].

وكان إبراهيم بن محمد كريماً جواداً له فضائل، وروى الحديث عن أبيه عن جده، وعن أبي هاشم عبد الله بن محمد ابن الحنفية، وروى عنه أخواه عبد الله أبو العباس، وعبد الله أبو جعفر المنصور وغيرهما.

قدم مرةً المدينة ففرّق في أهلها مالاً جليلاً، وبعث إلى عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب بخمسمائة دينارٍ، وبعث إلى جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب بألف دينار. وأتاه الحسين بن زيد بن علي زين العابدين بن الحسين ـ وهو صغير ـ فأجلسه

---

(١) البداية والنهاية ـ ابن الأثير.

في حجره، وقال: من أنت؟ قال: أنا الحسين بن زيد بن علي، فبكى حتى بلّ رداءه، وأمر وكيله فأحضر ما بقي من المال، فأحضر أربعمائة دينارٍ فسلّمها إليه، وقال: لو كان عندنا شيء آخر لسلّمته إليك، وسيّر معه بعض مواليه إلى أمه ريطة بنت عبد الملك بن محمد ابن الحنفية يعتذر إليها[1].

ويكنى إبراهيم بن محمد أبا إسحاق، وأمه أم ولد بربرية اسمها سلمى.

٢ ـ عبد الله بن محمد:

وهو أصغر من أخيه إبراهيم، وأكبر من أخيه السفاح الذي يحمل الاسم نفسه، عبد الله بن محمد، وهذا أبو جعفر المنصور ولد سنة خمسٍ وتسعين، وأمه أم ولد بربرية تُدعى سلامة، وقد تسلّم الخلافة بعد أخيه السفاح، وسنفرد له بحثاً خاصاً ـ إن شاء الله ـ.

٣ ـ موسى بن محمد.

٤ ـ يحيى بن محمد:

وانتقل مع أخيه أبي العباس من الحميمة إلى الكوفة.

---

(١) الكامل في التاريخ.

٥ ـ داود بن محمد.

٦ ـ عبيد الله بن محمد.

وذُكرت لأبي العباس من الأخوات ميمونة بنت محمد.

زوجات أبي العباس:

قلّ دور الزوجات بعد عصر التابعين لكثرة الجواري واتجاه الأنظار إليهنّ، إذ كنّ يبذلن جهداً كبيراً لكسب ودّ من هنّ جَوارٍ له لتحظى الواحدة منهن بنصيبٍ أكبر منه بالنسبة إلى الأُخريات.

ولما قلّ دور الزوجات لذا قلّ الاهتمام بهنّ نسبياً، ولم يعدّ لهن ذكر في الحياة العامة، لذا لم يذكرن في كتب التاريخ. ولما لم يذكر لأبي العباس زوجات أسرع المغرضون للربط بين العباسيين والأمويين، فذكر له المسعودي له زوجةً هي أم سلمة بن عبد الله بن الوليد بن المغيرة المخزومي. فقال: وذكر مصعب الزبيري عن أبيه قال: كانت أم سلمة بنت يعقوب بن سلمة بنت يعقوب بن سلمة بن عبد الله بن الوليد بن المغيرة المخزومي عند عبد العزيز بن الوليد بن

عبد الملك[1]، فهلك عنها، ثم كانت عند هشام، فهلك عنها، فبينما هي ذات يوم جالسة إذ مرّ بها أبو العباس السفاح، وكان جميلاً وسيماً، فسألت عنه، فنُسب لها، فأرسلت إليه مولاةً لها تُعرض عليه أن يتزوجها، وقالت: قولي له: هذه سبعمائة دينارٍ أوجّه بها إليك، وكان معها مال عظيم، وجوهر، وحشم، فأتته المولاة تعرض عليه ذلك، فقال: أنا مملق لا مال عندي، فدفعت إليه المال، فأنعم لها، وأقبل إلى أخيها، فسأله التزويج، فزوّجه إياها، فأصدقها خمسمائة دينارٍ، وأهدى مائتي دينارٍ، ودخل عليها من ليلته، وإذ هي على منصّةٍ، فصعد إليها، فإذا كل عضوٍ منها مكلّل بالجوهر، فلم يصل إليها، فدعت بعض جواريها فنزلت وغيّرت لبسها، ولبست ثياباً مُصبّغةً، وفرشت لها فراشاً على الأرض دون الذي كانت عليه، فلم يقدر أن يصل إليها، فقالت: لا يضرّك هذا، كذلك الرجال كان يُصيبهم مثل ما أصابك، فلم يزل بها حتى وصل إليها من ليلته، فحظيت عنده، وحلف ألا يتزوّج عليها، ولا يتسرّى، فولدت منه محمداً وريطة، وغلبت عليه غلبةً

---

(١) يقول مصعب (نسب قريش ٣٣٠) أن أم سلمة كانت عند مسلمة بن عبد الملك ثم خلف عليها أبو العباس السفاح.

شديدةً، ما كان يقطع أمراً إلا بمشورتها وبتأميرها، حتى أفضت الخلافة إليه، فلم يكن يدنو إلى النساء غيرها لا إلى حرةٍ ولا إلى أمةٍ، ووفاها بما حلف أن لا يغيّرها.

فلما كان ذات يومٍ من خلافته خلا به خالد بن صفوان فقال: يا أمير المؤمنين إني فكّرت في أمرك وسعة ملكك، وقد ملكت نفسك امرأة واحدة، واقتصرت عليها، فإذا مرضَتْ مرضتَ معها، وإن غابت غبت، وحرمت نفسك التلذّذ باستطراف الجواري، ومعرفة أخبار حالاتهن، والتمتع بما تشتهي منهن، فإن منهن يا أمير المؤمنين الطويلة الغيداء، وإن منهن الغضّة البيضاء، والعتيقة الأدماء، والرقيقة السمراء، والبربرية العجزاء من مولّدات المدينة، تُفتن بمحادثتها، وتلتذّ بخلوتها، وأين أمير المؤمنين من بنات الأحرار، والنظر إلى ما عندهن، وحسن الحديث معهن، ولو رأيت يا أمير المؤمنين الطويلة البيضاء، والسمراء اللعساء، والصفراء العجزاء، والمولدات من البصريات والكوفيات ذوات الألسن العذبة، والقدود المهفهفة، والأوساط المخصّرة، والأصداغ المزرفنة، والعيون المكحّلة، والثدي المحققة، وحُسن زيّهنّ وزينتهنّ

وشكلهنّ لرأيت شيئاً حسناً، وجعل خالد يجيد في الوصف، ويكثر في الإطناب بحلاوة لفظه، وجودة وصفه.

فلما فرغ من كلامه قال له أبو العباس: ويحك يا خالد ما صكّ والله مسامعي قط كلام أحسن مما سمعته منك، فأعد عليّ كلامك فقد وقع مني موقعاً، فأعاد خالد عليه كلامه أحسن مما ابتدأه، ثم انصرف، وبقي أبو العباس مفكراً فيما سمع منه، فدخلت عليه أم سلمة امرأته، فلما رأته مفكّراً مغموماً قالت: إني لأنكرك يا أمير المؤمنين، فهل حدث أمر تكرهه أو أتاك خبر فارتعت له؟ قال: لم يكن من ذلك شيء، قالت: فما قصتك؟ فجعل يتورّى عنها، فلم تزل به حتى أخبرها بمقالة خالد له، قالت: فما قلت لابن الفاعلة؟ قال: سبحان الله ينصحني وتشتمينه، فخرجت من عنده مغضبةً، وأرسلت إلى خالد جماعةً من البخارية ومعهم السياط، وأمرتهم ألا يتركوا منه عضواً صحيحاً.

قال خالد: فانصرفت إلى منزلي وأنا على السرور بما رأيت من أمير المؤمنين وإعجابه بما ألقيته إليه، ولم أشكّ أن صلته ستأتيني، فلم ألبث حتى صار إليّ أولئك البخارية، وأنا قاعد على باب داري، فلما رأيتهم قد أقبلوا نحوي أيقنت بالجائزة والصلة، حتى وقفوا عليّ،

فسألوا عني، فقلت: ها أنا ذا خالد، فسبق إليّ بعضهم بهراوةٍ كانت معه، فلما أهوى إليّ وثبت فدخلت منزلي، وأغلقت الباب عليّ واستترت، ومكثت أياماً على تلك الحال لا أخرج من منزلي، ووقع في خلدي أنني أُتيت من قبل أم سلمة، وطلبني أبو العباس طلباً شديداً، فلم أشعر ذات يومٍ إلا بقومٍ قد هجموا عليّ، وقالوا: أجب أمير المؤمنين، فأيقنت بالموت، فركبت وليس لي لحم، ولا دم، فلم أصل إلى الدار حتى استقبلني عدة رسلٍ، فدخلت عليه فألفيته خالياً، فسكنت بعض السكون، فسلّمت فأومأ إليّ بالجلوس، فنظرت فإذا خلف ظهري باب عليه ستور قد أُرخيت، وحركة خلفها.

فقال لي: يا خالد لم أرك منذ ثلاثٍ، قلت: كنت عليلاً يا أمير المؤمنين، قال: ويحك! إنك كنت وصفت لي في آخر دخلة من أمر النساء والجواري ما لم يخرق مسامعي قط كلام أحسن منه، فأعده عليّ. قلت: نعم يا أمير المؤمنين أعلمتك أن العرب اشتقت اسم الضُّرَّة من الضرّ وأن أحدهم لم يكن عنده من النساء أكثر من واحدةٍ إلا كان في الجهد، قال: ويحك، لم يكن هذا في الحديث، قلت: بلى والله يا أمير المؤمنين، وأخبرتك أن الثلاث من النساء كأثافي

القِدر تغلي عليهن، قال أبو العباس: برئت من قرابتي من رسول الله ﷺ إن كنت سمعت هذا منك في حديثك، قلت: وأخبرتك أن الأربع من النساء شرّ مجموع لصاحبهنّ، يُشيّبنه ويُهرِمْنه ويُسقمنه، قال: ويلك، والله ما سمعت هذا الكلام منك ولا من غيرك قبل هذا الوقت. قال خالد: بلى والله، قال: ويلك وتكذبني، قال: وتريد أن تقتلني يا أمير المؤمنين، قال: مُرَّ في حديثك، قال: وأخبرتك أن أبكار الجواري رجال ولكن لا خصيّ لهنّ، قال خالد: فسمعت الضحك من وراء الستر، قلت: نعم، وأخبرتك أيضاً أن بني مخزوم ريحانة قريشٍ، وأن عندك ريحانة من الرياحين، وأنت تطمع بعينك إلى حرائر النساء وغيرهن من الإماء. قال خالد: وقيل لي من وراء الستر: صدقت والله يا عمّاه وبررت بهذا، حدّثت أمير المؤمنين ولكنه غيّر وبدّل ونطق عن لسانك. فقال له أبو العباس: ما لك قاتلك الله وأخزاك وفعل بك وفعل. قال: فتركته وخرجت وقد أيقنت بالحياة، فما شعرت إلا برسل أم سلمة قد صاروا إليّ ومعهم عشرة آلاف درهم، وتخت، وبِرذون، وغلام.

ويبدو أن أبا العباس السفاح لم يتزوج سوى أم سلمة. وهي لم تنجب له سوى محمد، وريطة.

الخاتمة

كان أبو العباس السفاح أول خلفاء بني العباس، وفي أيّامه، وهي المرحلة التي شهدت انتهاء دولةٍ وقيام أخرى، أو زوال أسرةٍ عن الساحة السياسية وظهور غيرها، إنها مرحلة انتقالية تبدو فيها الأخطاء، وتظهر المخالفات، وتجلو فيها الأهداف البعيدة إن كان هناك مخططات أو أعداء يعملون بالخفاء، ويستغلّون ما يمكن استغلاله، كما تتضح في مثل هذه المرحلة الأساليب التي تُتخذ للاستغلال، والأفكار التي تُطرح، والشعارات التي تُعلن، وتنكشف الحقيقة لكل ذي عقلٍ، ولمن يسعى وراء الحق ويطلبه.

تظهر الحقائق بعد مدةٍ وجيزةٍ ووقتٍ قصيرٍ، وقد أخذت تتوضّح منذ أيام أبي العباس رغم أن عهده لم يتجاوز السنوات الأربع، وهي بداية المرحلة، أخذت تبدو لمن يجري وراء المعرفة، ويُفكِّر بعقله، ويبتعد عن العاطفة، ويترك العصبية، ويحسب الأمور بميزان الشرع.

ما تسلّم العباسيون منصب الخلافة حتى صُوّبت عليهم السهام التي كانت توجّه للأمويين من قبل، وما وجّهت إلى هؤلاء وإلى أولئك إلا لأنهم خلفاء يتصدّرون المسلمين ويُمثّلون الإسلام، فالهجوم عليهم لتكون الضربة في القلب، وتُسدّد الطعنة إلى المقتل، فهي إذن من أعداء الإسلام فلا يُهمّهم أمية ولا يُبالون بهاشم، فأمية وهاشم عاشا في الجاهلية، وأبناء هذا وأبناء ذاك دخلوا في الإسلام، وصاروا من أهله، ومن الدعاة له، والمجاهدين في سبيله، بل تصدّروا هذا كله، وأقرب سبيل للأعداء إنما هو ضرب هؤلاء بأولئك، ورمي الفتنة، وتفرقة الكلمة وتجزئة الصفوف، وإذا وصلوا إلى ما أرادوا ضعف المسلمون ويمكن للأعداء النيل منهم، حسبما يُخططون له، ويسعون وراءه.

استُغِلّ بنو العباس، بل استُغِلّ آل البيت، فحارب المتلوّنون من خلفهم وباسمهم الخلفاء، واتخذوهم دريئةً يتّقون بها السهام، بل حاربوا الإسلام بالواقع، فسار العامة بعواطفهم وتأييدهم الدعوة لبني العباس، وآلت الخلافة إلى بني العباس، ولما صاروا في مركز الخلافة وُجّهت السهام التي كانت تُوجّه باسمهم إلى صدور

الخلفاء الذين سبقوهم، وجّهت الآن إلى صدورهم، وما أن استقرّ لهم الوضع واستتبّ الأمر لأبي العباس حتى لاحظ بعض الخطوط الحمراء فعمل على قتل كبير دعاته أبي سلمة الخلال على يد الرجل الثاني أبي مسلم الخراساني، ولم تمض سوى مدةٍ وجيزةٍ حتى قُتل أبو مسلم على يد أبي جعفر المنصور وفي أول عهده.

وكشف مقتل أبي مسلم خيوطاً أخرى، إذ خرج أحد المجوس ـ وهو سُنباذ ـ خرج يُطالب بدم أبي مسلم، واستولى على بعض الأمصار، فأرسل أبو جعفر المنصور له جَهور بن مرّار العجليّ فقتله وقتل من أصحابه ستين ألفاً أكثرهم من المتلوّنين الذين يُظهرون الإسلام.

وما دام المتلوّنون قد وجّهوا سهامهم على الخلفاء من بني العباس، فلا بدّ من أن يستغلّوا عاطفة المسلمين لكسب التأييد ضد العباسيين، فلم يجدوا سوى فرعٍ آخر من آل البيت هم الطالبيون الذين كسبوهم من قبل واستغلّوهم، وكانوا سلاحهم الماضي في الهجوم على الخلفاء من بني أمية.

فكان قيام دولة بني العباس كشف للمتلوّنين وأسلوبهم وأهدافهم، هذا لمن يسعى وراء الحق، ويعمل تحليلاً وتعليلاً للواقع وأحداثه.

فأرجو من الله أن أكون قد وُفّقت في إعطاء صورةٍ صحيحةٍ وصادقةٍ عن أول الخلفاء العباسيين: عبد الله بن محمد بن علي أبي العباس السفاح، فإن كان ذاك فهو من فضل الله عليّ، وإن لم يكن ذلك فمن نفسي وعذري أني اجتهدت، والحمد لله على كل حال.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

المحتوى

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة